العدد الخاص عن المشايخ الچشتية وأعمالهم العلمية والدعوية

إلى التصوف من جديد

٣

الإحسان

مجلة فصلية تصدر من الجامعة العارفية، الله آباد، الهند

شاہ صفی اکیڈمی
SHAH SAFI ACADEMY
A centre for research on Islamic studies and Sufism

العدد الخاص عن المشايخ الجشتية وأعمالهم العلمية والدعوية

إلى التصوف من جديد

الإحسان

٣

مجلة فصلية تصدر من الجامعة العارفية، الله آباد، الهند

١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

الإشراف العام

الداعية الإسلامي والعارف الرباني الشيخ **أبو سعيد شاه إحسان الله** المحمدي الصفوي حفظه الله

أكاديمية شاه صفى

أكاديمية شاه صفي قد أسسها العارف بالله الداعية الإسلامي الشيخ أبو سعيد إحسان الله المحمدي حفظه الله سنة ٢٠٠٨م لنشر كتب التصوف القديمة منها والجديدة في أساليب معاصرة مع ترجمة وتحقيق وترتيب جديد، وإشاعة أفكار الصوفية والقيم الدينية الروحية العالية عن طريق الكتب والصحف في لغات شتى من العربية والأردية والإنكليزية. وبحمد الله قد نشرت هذه الأكاديمية كتبا عديدة ومجلات مختلفة، وقامت بدور بارز في هذا المجال في مدة قليلة.

رئاسة التحرير

حسن سعيد الصفوي

المراسلات

أكاديمية شاه صفى

الزاوية العارفية

سيدسراوان، كوشامبي

الله آباد، أترابراديش (الهند)

مسئولية التحرير

ضياء الرحمن العليمي

ذيشان أحمد المصباحي

غلام مصطفىٰ الأزهري

مساعدة التحرير

محمد مجيب الرحمن العليمي

إظهار أحمد الثقافي

محمد طارق رضا القادري

ظفر عقيل السعيدي

SHAH SAFI ACADEMY, KHANQAH E ARIFIA

Saiyed Sarawan, Allahabad, Uttar Pradesh 212213 (INDIA)

رقم البريد: +91-9696973121 (الهند) +20-1117917198 (مصر)

البريد الإلكتروني: shahsafiacademy@gmail.com

سلسلة المطبوعات:١٥

©
جميع الحقوق الملكية الأدبية والفنية
محفوظة لأكاديمية شاه صفي

Copyright ©
All Rights Reserved
Exclusive rights by
Shah Safi Academy

ثمن النسخة

في الهند: ٢٠٠ ₹
خارج الهند: ١٠ $

عنوان المراسلات

SHAH SAFI ACADEMY
Khanah e Arifia
Saiyed Sarawan
Kaushambi, Allahabad
U. P. Pin. 212213 INDIA
E-mail:shahsafiacademy@gmail.com

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم:

Shah Safi Academy
A/C-22631450000118
IFSC CODE HDFC 0002263
(HDFC,Akbarpur-Sallahpur,Allahabad)

المجلس الاستشاري

فضيلة المفتي الدكتور علي جمعة
(مفتي جمهورية مصر سابقا ، وعضو هيئة كبار العلماء ،مصر)

فضيلة الشيخ الدكتور حسن الشافعي
(رئيس مجمع اللغة العربية، القاهرة)

فضيلة الشيخ الدكتور عبدالهادي القصبي
(شيخ مشايخ الطرق الصوفية، وشيخ الطريقة الخلوتية)

فضيلة الشيخ الدكتور محمد مهنا
(مستشار الإمام الأكبر شيخ الأزهر وأستاذ القانون الدولي بجامعة الأزهر)

فضيلة الشيخ أبو بكر مسليار
(الأمين العام لمركز الثقافة السنية، كيرالا ولجميعة علماء الهند)

الأستاذ الدكتور مسعود أنور العلوي
(رئيس قسم اللغة العربية سابقا، بجامعة علي جراه الإسلامية، علي جراه)

فضيلة الشيخ أ.د.إبراهيم صلاح الهدهد
(رئيس جامعة الأزهر سابقا وعضو مجمع البحوث الإسلامية،مصر)

الأستاذ الدكتور مصطفىٰ شريف
(مدير دائرة المعارف العثمانية، الجامعة العثمانية، حيدرآباد)

ISSN 0234-9787

9 770234 978901

شاہ صفی اکیڈمی
SHAH SAFI ACADEMY
A centre for research on Islamic studies and Sufism

العدد الخاص عن المشايخ الچشتية وأعمالهم العلمية والدعوية

محتويات

من مائدة العرفان	الباحث/محمد ضياء الرحمن العليمي	٤
كلمة "الإحسان"	الأستاذ/حسن سعيد الصفوي	٥
شيخ الإسلام قطب الدين بختيار الكعكي	الباحث/إظهار أحمد السعيدي	٧
سلطان الأولياء الشيخ نظام الدين قدس الله سره	علي أحمد العثماني	١٢
الشيخ سعد الدين الخير آبادي رضي الله عنه	الباحث/إظهار أحمد السعيدي	١٧
الطريقة الصفوية الچشتية ورجالها.....	الدكتور/محمد مجيب الرحمن العليمي	٢٩
القاضي عبد الغفور وصاحبه الشيخ عارف صفي	الأستاذ/حسن سعيد الصفوي	٤٤
أمير خسرو الدهلوي ونبوغه في الآداب العربية	الباحث/محمد ضياء الرحمن العليمي	٥٠

من مائدة العرفان

خصائص وميزات إيمانية ودعوية للطريقة الصفوية

قال العارف الرباني الشيخ أبو سعيد إحسان الله المحمدي

إن الطريقة الصفوية في الواقع مجموعة ثلاثة طرق:

١ :القادرية. ٢ : السهروردية. ٣: والجشتية

ولكل من هذه الطرق لون خاص ومنهج ممتاز لهداية العباد إلى ربه وخالقه.

فالقادرية تركز على الجمع بين الشريعة والطريقة والظاهر والباطن على حد سواء كأسنان المشط وعلى تبليغ الدين بين إخوانه المسلمين.

والسهروردية تهتم بإصلاح الملوك والسلاطين والأمراء وأصحاب الجاه، فهى تولي اهتماما كبيرا بظواهر الأحوال وتتظاهر بالأبهة الملكية مستنيرة من حياة النبي سيدنا داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام حتى يتسنى لها الوصول إلى أبواب الملوك والسلاطين لتعليمهم وإصلاح أحوالهم ورفع مشاكل عامة الناس إليهم، فبصلاحهم صلاح الناس وقديما قيل: الناس على دين ملوكهم.

وأما **الجشتية** فهي تعتني اعتناء بالغا بالدعوة بين المشركين والكافرين بأنها تدخل بينهم فتخوض في مصطلحاتهم فتقلب حقائقها ومسماها بالإيمان بدون أن يغير أسماء ها، وبالتالي تقوم بإحداث ثورة دينية إيمانية صالحة دون أن تثير فتنة أو حقدا في قلوب أهلها على الإسلام والمسلمين اقتباسا من مشكاة سيرة النبى ﷺ وحياته الدعوية في مختلف مراحلها ولاسيما الحياة المكية، وكذلك يغلب عليها جانب المحبة والعشق الإلهي والتفاني فيه وطابع الزهد والفقر والتوكل والاجتناب من أهل الجاه والثروة سيرا على طريق أهل الصفة وعلى درب سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه الذى طلق الدنيا ثلاثا.

وعندما ندرس الطريقة الصفوية دراسة علمية روحية نجدها متسمة بجميع الميزات والخصائص المذكورة فهى كما تبذل اهتمامها بالجمع بين الشريعة والطريقة والظاهر والباطن والدعوة بين أبناء الدين الإسلامى كذلك لاتتعامى عن إصلاح أهل الجاه والثروة ولاتجد غضاضة في استخدام طيبات الدنيا عند الحاجة وذلك كله مع شعار المحبة والعشق الإلهي والتبتل والزهد والفقر ودثار تبليغ الدين بين أهل الشرك والطغيان، ومن أجل هذه الطوابع الإيمانية والدعوية تيسرت لها مالم يتيسر لطرق أخرى من خدمة دينية روحية وقبول عام بين أهالي الهند.

• **إعداد:** محمد ضياء الرحمن العليمي

كلمة "الإحسان"

الأستاذ/ حسن سعيد الصفوي

الحمدلله الذي زين قلوب أوليائه بنور المعرفة واليقين واطلعهم على خفايا الطريق وأسرار الدين والصلوة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وإمام العارفين وعلى آله وأصحابه الغرالمحجلين أما بعد!

فقد حرصنا منذ العدد الأول لمجلة الإحسان أن نتقدم إلى القرآء الأعزة بجديد لم يقرع أسماعهم ولم يخطر على قلوبهم، وإنطلاقا من هذا المبدأ كان العدد الثاني لها محتويا على النص الصوفي القديم الشهير بالرسالة المكية للشيخ العارف بالله قطب الدين الدمشقي قدس الله سره، وقد كان لهذ الشيخ العظيم صلات قوية وطيدة بالمشايخ الجشتية الهنود الذين ملأوا أرض الهند ببركاتهم وفيوضهم وسخروا قلوب أهلها بنفحات إيمانهم كما زينوا تاريخ الهند بأعمالهم الإنسانية والدينية والعلمية والدعوية والإحسانية.

وتواصلا للمنهج الذي اتبعناه تمنينا أن يكون هذ العدد الثالث خاصا بالمشايخ الجشتية الهنود وأعمالهم العلمية والدعوية، وتحقيقا لهذه الأمنية بدأنا هذه الرسالة بمقالات علمية عديدة تمس تاريخ بعض كبار المشايخ الجشتية من أمثال الشيخ الإمام القدوة قطب الدين بختيار الكعكي الجشتي والشيخ الإمام العارف نظام الدين البدايوني ثم الدهلوي والشيخ الإمام الأصولي و النحوي والزاهد سعد الدين الخيرآبادي، كما تدرس تاريخ ورجال الطريقة الجشتية الصفوية التي تتفرع من الطريقة الجشتية النظامية من أمثال الشيخ الإمام العارف عبد الصمد المعروف بشاه صفي والشيخ العارف القدوة خادم صفي والشيخ العارف المربي عبد الغفور المحمدي والشيخ القدوة عارف صفي المحمدي قدس الله أسرارهم جميعا.

وأتبعناها برسالة الأخ الفاضل ضياء الرحمن العليمي التي قدمت إلى جامعة جواهر لال نهرو نيو دلهي لنيل الشهادة ماقبل الدكتورة بعنوان: أمير خسرو الدهلوي ونبوغه في الآداب العربية. فهو من أحد أعلام الصوفية الجشتية في الهند وحياته مليئة بمعالم التصوف والسلوك وأنوار الإيمان والمعرفة كما له صيت في العالم بصفته شاعرا عبقريا هنديا وفارسيا ولكن من المؤسف أنه لم تشتهر في العالم براعته في الآداب العربية من النثر والشعر وعلوم البلاغة وهذه الرسالة تتناول هذا الموضوع بكل

دراسة عميقة وبحث علمي دقيق وتثبت أن أمير خسرو بدون شك وريب من كبار رجال الآداب العربية في الهند. فقد توجد عنده نماذج جميلة رائعة للنثر الفني الذي لها أثر في النفوس ومنفذ إلى القلوب كما توجد عنده الأمثال والمقولات العربية التي فاضت بها قريحته الإبداعية وطبيعته الطامحة نحو الخلق والإختراع، والمقطوعات العربية متعددة الألوان والأنواع وتوجد لديه القصائد ومآت من الأبيات العربية الرائعة التي تتسم بروعة اللفظ وجمال الأسلوب ودقة المعنى وهذا يبرهن على طول باعه في الآداب العربية وترفض بتاتا ظن بعض الناس أن الصوفية الهنود ليست لهم أية مساهمة في تطوير اللغة العربية وآدابها بل ماكانوا عارفين بها ومتقنين فيها.

ونوضح الأمر فنقول أن هذا العدد الخاص عن المشايخ الجشتية له جزئان:

الجزؤ الأول يعرف قرآئنا بالطريقة الجشتية والصفوية وأعلامها الهنود فلهم فضل يذكر فيشكر عليه في خدمة الإنسانية والدين الحنيف وترويج طريق التصوف والسلوك في شبه القارة الهندية. والطريقة الصفوية خاصة لها دور كبير في حق الدعوة والإرشاد بين أبناء الهند في القرون المتأخرة ولكن مما يؤسف كبيرا أن تاريخ المشايخ الجشتية عامة والطريقة الصفوية خاصة ضائعة في ظلمات بعضها فوق بعض ولم يتوجه إليه الباحثون وجعلوه في إهمال وإدبار إلا أن الزاوية العارفية وجامعتها وأكاديميتها ورجالها الباحثين تبذل قصارى جهودها تحت إشراف شيخها ومربيها الداعية الإسلامي الشيخ أبي سعيد إحسان الهة المحمدي في التنقيب عن تاريخ المشايخ الجشتية والصفوية وتراثها العلمية والدعوية وإخراجها إلى النور حتى أصبح الناس على علم ومعرفة بهؤلاء المشايخ العباقرة وأعمالهم العلمية النيرة.

أما الجزء الثاني فيتكلم عن رجل عبقري صوفي جشتي وأعماله ومهارته في الآداب العربية.

فالمرجو أن هذ العدد الخاص يزيد القرآء الكرام هدى ورشدا وبصيرة بالهند ورجالها الربانيين ومحاولاتهم الصادقة الخالصة المخلصة في سبيل الدين.

وفي الختام نوجه كلمات الشكر والتقدير إلى زملاء أكاديمية شاه صفى لما بذلوا جهودهم الجبارة في إعداد هذ العدد القيم لمجلة الإحسان ومن الواجب علينا أن لا ننسى فضل شيخنا وقدوتنا شيخ المشيخة العارفية الصفوية ورائد الثورة الروحية الشيخ أبي سعيد إحسان الله المحمدي الصفوي متعنا الله تعالى بطول بقائه والحمدلله تبارك وتعالى أولا وآخرا ظاهرا وباطنا والصلاة والسلام على سيد والمرسلين ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

*****

شيخ الإسلام، الداعي الكبير

قطب الدين بختيار الكعكي الأوشي

الباحث/ إظهار أحمد السعيدي

هو أحد فحول صلحاء الهند، وعلم من أعلام التصوف الإسلامي في القرن السابع الهجرى، وكان ممن تفتخر به الهند.

مولده ونسبه:

ولد بأوش سنة ٥٦٨هـ وقيل سنة ٥٨١ هـ في بلد من بلاد ما ورآء النهر ، ولم تتيسر له الشفقة والمحبة الأبوية إلا مدة سنة وستة أشهر فقط، ثم تربي تحت إشراف أمه الطاهرة العفيفة، وهو ينحدر من سلالة آل النبي ﷺ حيث ينتمى نسبه إلى سيّد شباب أهل الجنة سيدنا الإمام الحسين رضي الله عنه. ولما بلغ الخامسة من عمره تلمذ على يد الشيخ أبي حفص المعلم الأوشى، ثم أرسلته أمه إلى الشيخ معين الدين حسن السجزي الأجميري(المتوفى:٦٣٢هـ) للتربية الروحية والدراسة العالية. فأخذ منه علما جما حيث صار إماما في العلم والمعرفة، أنارالله به طريق الحق لكثير من خلق الله في الهند وأصبح مجاهدا باسلا وإماما رائدا في التصوف الإسلامي حتى أن كل من جآء بعده نهل من مناهله وأفاد من تعليماته وشفى غلته من فيضه المدرار.

وجه اشتهاره بالكعكي والأوشي :

قال الشيخ ابن بطوطة في رحلته بأن سبب شهرة هذا الشيخ يرجع إلى أنه كان إذا أتاه الغرماء شاكين من الفقر والقلة، أوالآباء الذين لهم البنات ولا يجدون ما يجهزهن به إلى أزواجهن أعطاهم كعكة من الذهب والفضة وبذلك عرف بالكعكي .

وقيل: إنه كان يسكن بقّال بجواره في ابتداء حياته وكان يستدين منه الحوائج اليومية واتفق معه أن لا يزيد في الاقتراض أكثر من ثلاث مائة درهم قبل السداد وبينما هو كذلك إذ تعهد ذات يوم أن لا يستدين منه شيئا مطلقا وتضرع إلى الله تعالى أن يثبته على ذلك فرزقه الله تعالى فضلا من عنده وكان يظهر كل يوم " كعك" تحت مصلاه كان يكفى لجميع عائلته فاشتهر بالكعكي.

والجامع بين الروايتين أو القصتين الكرامة من الله سبحانه وتعالى وحصول الرزق له من حيث لم يحتسب.

وسمي بالأوشي لأن أوش كانت مسقط رأسه فنسب إليها.

بيعته وخلافته في طريق التصوف :

بايع الشيخ معين الدين حسن السجزي الأجميري (المتوفى:٦٣٢هـ)وهو في الثامن عشر من عمره ، وفاز بالخلافة وله عشرون سنة من العمر ، ولبس الخرقة منه في مسجد الفقيه أبي الليث السمرقندي رحمه الله تعالى ، وكان المجلس محفوفا بالمشايخ الأجلاء – وعلى رأسهم شيخ الشيوخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى ، والشيخ أوحد الدين الكرمانى ، والشيخ برهان الدين الجشتى ، والشيخ محمود الأصفهانى وغيرهم رحمهم الله تعالى.

رحلته إلى الهند :

لما اشتد به الشوق إلى لقآء شيخه واشتاق إلى زيارته شد الرحال إلى الهند ؛ لأن شيخه كان مهاجرا إليها قبله ، و كان زمام الأمر في الهند في ذلك الوقت بيد السلطان العادل الزاهد الصالح شمس الدين ألتمش الذي كان شغوفا بالأولياآء وولوعا بالصالحين وكلما سمع الحديث عنهم تهلل وجهه وبرقت أسارير وجهه ودبت في نفسه روح المسرة والفرح ، فلما حل الشيخ بدهلي (عاصمة الهند) ونزل بها وسمع الملك بذلك كانت آثار الاستبشار ملموسة عليه و أعرب عن فرحه العميق بقدومه الميمون وعبر عن ارتياحه. وهذه الفترة التي قضاها الشيخ في دهلي كانت فترة التطور والنمو والازدهار فيها ؛ حيث إن المشايخ والعلماء والصلحاء والأدباء والشعراء كانوا يتخذونها ملاذا لهم ويفدون إليها من جميع بقاع الأرض بما يجدون فيها من التقدير والاحترام، فوهب الله تعالى للشيخ سمعة طيبة فيما بينهم وأعلى قدره فيهم ، وبذلك احتلت الطريقة الجشتية في دهلي مكانة سامية وكسبت قلوب الأهالي، وشهدت هذه الطريقة ازدهارها ونموها أيما نمو وازدهار.

تعلقه بالله تعالى :

قيام الليل وصيام النهار كان دأبه وديدنه ،وكان قلبه دائما متعلقا بالله تعالى ، وكان لسانه رطبا بذكرالله تعالى وشكره وكان شغله الشاغل إصلاح الأمة والنصح للخواص والعوام ، لم يحلم حلما إلا وفيه إشارة ربانية توجهه إلى معرفة الله تعالى ، وكان من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه وقفا لله عز وجل ، خلوته وعزلته كانت شعاره ، ورياضته ومجاهدته كانت دثاره ، سلوكه كان همه واهتمامه ، وكان أسعد حظا في الأسرار الإلهية وأرسخ قدما في المكاشفات .

قال سلطان المشايخ نظام الدين محمد خليفة خليفته الأجل الشيخ فريد الدين غنج شكر رحمهما الله تعالى : "إن الشيخ في صدر شبابه كلما سيطر عليه النوم آثر النوم في أول الليل ثم استيقظ وسهر قائما ، ولكن حينما كبر في السن تحول هذا النوم اليسير أيضا إلى يقظة مستمرة حتى بدأ يقول إن النوم يسلب هدوء بالي ويؤلمني ألما لا أستطيع تحمله ، والحقيقة أنه قضى حياته في عبادة الله تعالى وكان يظل مستغرقا فيها حتى لو وفد عليه زائر انتظره قائما حتى يفيق عن حالة الاستغراق وتعود عليه حاسته ثم يلتفت إليه ويسمع ويقضي حاجته ثم يعود إلى حالة الاستغراق مرة ثانية وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على شدة تعلقه بالله عز وجل ، والجدير بالذكر أنه كان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف مرة في كل ليلة."

زهده عن الأمراء والسلاطين :

وتجدر الإشارة إلى أن مكانة الشيخ لما تجلت للسلطان شمس الدين ألتمش ازداد حبه له واشتياقه إليه، ولكنه كلما رغب إليه الملك رغب عنه ، ومهما أقبل عليه ابتعد عنه ، حتى شيّد الملك منارة شامخة سماها باسم " قطب مينار " (منارة قطب) على اسم الشيخ، وهذه المنارة قائمة إلى يومنا هذا تخليدا لذكراه، وهي مزارة سياحية مشهورة بدهلي.

عزمه على ترك دهلي إلى أجمير الشريفة :

إن إقبال الناس عليه أذكى نار الحسد والبغض في صدور الحاقدين عليه ، ولم يسلم من سهام حساده حتى علم شيخه بهذا ، فاستدعاه إلى أجمير(محافظة في ولاية راجستهانٌ الهند) ، فصمم على مغادرة دهلي ، ولكن محبة الناس له حالت دون سفره ؛ لأنهم اجتمعوا حوله وعيونهم تفيض من الدمع فألغى الشيخ السفر واستأذن شيخه في البقاء بدهلي.

زهده في الدنيا :

وكما هو معروف من سير عامة مشايخ التصوف أنهم يؤثرون الزهد والتقلل من متاع الدنيا فكان الشيخ قطب الدين الكعكي أيضا مثلهم في ذلك وكانت شخصيته تمتاز في ترك الدنيا والرغبة عنها ، وكان لا يبالي بها شيئا بل توكله على الله تعالى كان رأس ماله وبضاعته ، حتى نقل عنه أنه كان له ولد وشاء القدر أن يموت في حداثة سنه . وهذه الواقعة المفجعة التى كانت كبيرة ومحزنة جدا ولكن الشيخ لم يشعر بها لشدة استغراقه في حب الله تعالى حتى رجع الناس نافضين أياديهم

عن تراب قبره إلى بيوتهم وكان الشيخ في داره فسمعت أذنه صراخ الثكلى فعلم بالواقعة وشعر بذلك وقال لخليفته الشيخ بدر الدين الغزنوي: لو خيّلت هذه الواقعة إليّ قبل حدوثها لدعوت الله تعالى لبقائه، وهذا أيضا يدل على شدة استغراقه في ذكر الله تعالى والتعلق به حيث لم يشعر بفقدان ولده إلا بعد دفنه بصراخ الثكلى .

من خواطره الإيمانية :

كان يقول: إن أربعة أشياء من جواهر النفس ودررها الثمينة ولآليها اللامعة (١) الفقر وحث النفس على الصبر (٢) الجوع وإظهار نفسه للناس كأنه شبع (٣) المعاناة ومع ذلك مقابلة الناس متهللا بالبِشر هشاشا وبشاشا بغض النظر عما يعانيه من هموم ومتاعب (٤) مد يد المحبة والصداقة إلى العدوّ.

وكان يقول: كفوا أياديكم من إلحاق الأذى بالناس حيثما سرتم ونزلتم، وكونوا في الدنيا كأنكم من الأموات. وكان يقول: العارف بالله تعالى كالشمس تتلألأ الدنيا بنوره.

و قال يوما : الدنيا بدون الموت لا قيمة لها أصلا، فسئل لما ذا ؟ فأجاب بأن الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب ، ثم قال : الصداقة والمحبة مقرهما القلب لا اللسان ، ثم أضاف قائلا :ما انكشف لك و اطلعت عليه من الأسرار و الكشف الإلهى إن سكت عنه ولم تبح به إلى أحد ارتقيت إلى العرش فتطوف و تحلق فى أجوائه.

خلفائه :

(١) الشيخ فريد الدين مسعودغنج شكر (المتوفى:٦٦٤هـ) (٢) الشيخ بدر الدين الغزنوي (٣) الشيخ عماد الدين (٤) الشيخ محمد صغرى (٥) الشيخ محمود (٦) الشيخ معز الدين (٧) الشيخ حامد الدين (٨) الشيخ سعد (٩) الشيخ القاضي عماد .

ومن أجل خلفائه الذي به ازدهرت هذه الطريقة كثيرا هو الشيخ فريد الدين غنج شكر شيخ سلطان المشايخ نظام الدين محمد الدهلوي (المتوفى:٧٢٥هـ).

وفاته :

قال الشيخ نظام الدين محمد بن أحمد (المتوفى:٧٢٥هـ): إن الشيخ قد حضر مرة مجلس السماع بزاوية الشيخ على السنجري ، وكان المنشد ينشد أبيات الشيخ أحمد جام النامقي فلما أنشد هذا البيت :

كشتگان خنجر تسليم را هرزمان أزغيب جان ديگراست

(**الترجمة**: من قتل بسلاح رضوان الله تعالى و حبه، له روح جديدة من الغيب في كل لحظة)

تذكر كتب السير أن الشيخ قطب الدين طرأت عليه حالة الوجد بذكر الله تعالى وغشي عليه فحمله أصحابه الشيخ بدر الدين الغزنوي ٱ والقاضي حميد الدين الناغوري وغيرهما رحمهم الله تعالى ، وأتوا به إلى بيته وكان المنشد معهم يكرر البيت المذكور فلم يفق إلى ثلاثة أيام واشتدت عليه الحالة في اليوم الثالث إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى. وكان ذلك يوم الإثنين ١٤ من ربيع الأول عام ٦٣٣ هـ وكان عمره ٦٥سنة ، وقيل : ٥٢ سنة .

وصيته :

لماجهزت جنازته ووصلت إلى غايتها وصفت الصفوف وسويت للقيام بأداء صلاة الجنازة فناداه مناد يقول : هذه وصية من وصايا الشيخ بأن لا يصلي عليه إمام إلا من لم يقترف حراما في حياته قط ولم تفت له التكبيرة الأولى في الجماعة وسنة صلاة العصر ، وبعد سماع هذا النداء أظل عليهم السكوت وتحير الناس في الأمر و طالت الفترة ولم يجترئ أحد أن يتقدم ، حتى أتت هذه النعمة أخيرا في نصيب السلطان شمس الدين ألتمش أحد مريديه وحاكم الهند كما مضى.

*****

المراجع:

(١) أخبار الأخيار للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي(المتوفى:١٠٥٢هـ)

(٢) تاريخ مشايخ جشت للدكتور خليق أحمد النظامي.

(٣) سير الأولياء للشيخ أمير خورد الكرماني(المتوفى:٧٧٠هـ)

(٤) عين الولاية للشاه محمد عزيز الله الصفي بوري(المتوفى:١٣٤٧هـ)

(٥) نزهة الخواطر (الإعلام) للسيدعبدالحي الحسني الراي بريلوي(المتوفى:١٣٤١هـ)

سلطان الأولياء

الشيخ نظام الدين قدس الله سره

على أحمد العثماني

الحمد لله الذي اصطفى من عباده الأولياءَ والأحباءَ المقربين، وجعلهم منارة نور وهداية للناس أجمعين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق إمام المتقين ،وربيع قلوب المومنين، وقرة عيون المسلمين، سيدنا مولانا وحبيبنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

من الأولياء الكبار والعباد الأخيار الذين أشرقت أرض الهند بنور إيمانهم اللماع، وتنورت بضياء يقينهم البراق، وتطيبت بنفحات تزكيتهم الطيبة، وتعطرت بطيب عبادتهم الشاقة الخالصة، سلطان العلماء والأولياء والمشائخ، قطب الأقطاب، محبوب الله التواب، نظام الحق والشرع والدين، إمام الصوفياء الصالحين المحسنين، شيخنا ومولانا وسيدنا محمد نظام الدين ، عليه الرحمة والرضوان من رب العالمين، المولود في مدينة الأولياء مدينة " بدايون" الشريفة في سنة ٦٣٦هـ

أسرته ونسبه الشريف:

آباء الشيخ كانوا ينتسبون إلى مدينة " بخارا" ويعيشون فيها، ثم هاجر جده من أبيه الشيخ علي و جده من أمه الشيخ عرب كلاهما معا قاصدين إلى الهند وأقاما بمدينة الأولياء والأصفياء مدينة "بدايوں" الشريفة، كان هذان الشيخان الجليلان صديقين مخلصين، فزوج الشيخ عرب بنته "زليخا" بابن صديقه "الشيخ أحمد" قدس الله سره، فانجبت له ابنا اشتهر في العالم بالشيخ نظام الدين الذي ملأ الدنيا بورعه وتقواه

نسبه:

وكان الشيخ نظام الدين من سلالة الأشراف، نجيب الطرفين، يتصل نسبه الشريف الى سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك يظهر مما يلي :

الشيخ الشريف نظام الدين محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ علي الحسيني البخاري بن الشيخ عبد الله بن الشيخ حسن بن الشيخ الأمير علي بن الشيخ الأمير أحمد بن الشيخ الأمير أبو عبد الله بن

الشيخ الأمير علي أصغر بن الإمام جعفر بن الإمام علي بن الإمام علي الهادي التقي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي موسى الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام الهمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين علي بن سلطان الشهداء سبط الرسول سيدنا الإمام حسين بن علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وأما نسبه من أمه فهو الشيخ نظام الدين أمه السيدة الشريفة العفيفة السيدة زليخا بنت الشيخ عرب الحسيني البخاري بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن بن الشيخ الأمير علي ـ إلى آخره ـ .

تعليمه:

توفي والده وهو في صغر سنه فقامت أمه الولية التقية برعاية ابنه أحسن رعاية، ولما بلغ الشيخ الى أربع سنوات من عمره أدخلته أمه الكتاب، حيث بدأ يتعلم قرأة القران الكريم وبعض الكتب المتداولة، حتي انتهي من تعلم القران المجيد وبعض الكتب الفقهية وأصولها والكتب العربية خلال بضع سنوات ، وبعد ما وصل إلى اثنتي عشرة سنة رحل الى مدينة "دهلي" لأجل الحصول على العلوم العالية فانضم الى العالم الجليل شمس الملك وقرأ عليه أربعين مقامة من "المقامات" للحريري، وسمع الحديث وتعلم أصول الحديث منه، وقرأ "مشارق الأنوار" على الشيخ مولانا كمال الدين الزاهد وأخذ الأجازة منه، وذكر الشيخ الأمير خورد الكرماني هذه الإجازة بنصها في كتابه الماتع "سير الأولياء". يترك هذا العبد الفقير ذكرها هنا خوفا من الإطالة.

ثم سافر إلى "أجودهن" وقرأ على شيخ الشيوخ العالم الرباني فخر الأولياء فريد الدين مسعود رضي الله تعالى عنه "عوارف المعارف" للشيخ شهاب الدين السهروردي و"التمهيد" للشيخ أبي شكور السالمي.

البيعة والإجازة:

يقول الشيخ نظام الدين بنفسه عن شدة اشتياقه وفرط هيامه بشيخ الشيوخ العالم الرباني فريد الدين گنج شكر رضي الله تعالي عنه حينما كان طالبا في المدرسة الإبتدائية بعد أن سمع عن عبادته وصفاته وزهده وورعه وتقواه، يقول في رسالته " راحة القلوب" التي جمع فيها أقوال شيخه،: " إن كاتب هذه السطور تشرف بالمثول أمام الشيخ فريد الدين وتقبيل قدمه، وازدياده شرفا وكرامة بعد أن بايعت على يديه الشريفة في ١٠ رجب سنة ٦٥٥ ، فى نفس الوقت ألبسني الخرقة وأعطاني النعلين، وقال لي أردت أن افوض ولاية الهند إلى أحد ولكن ألهمني ربي بأن هذه حقك،

ما إن سمعت هذا الكلام من لسان الشيخ وقعت على قدميه الشريف وقبلتهما، وأردت أن أعبر له عن اشتياقي الشديد ولكن لم استطع عن القيام به إجلالا وتعظيما له وكنت أشعر بالخوف والارتجاف، فقال: "لكل داخل دهشة"

ثم قلت للشيخ : ماذا تأمر عن دراستي هل استمر فيها أو انشغل في العبادات والأذكار والخلوة؟

فأجابني قائلا: "نحن لا نمنع أحدا عن الحصول على العلم والانكباب عليه بل انشغل انت في كليهما، ثم ترى بنفسك أي منهما يغلب على الآخر، و لا بد من العلم والمعرفة لسالك هذا الطريق"

ذكر الشيخ امير خورد الكرماني في كتابه (سير الأولياء، ص: ١٨١)

يقول الشيخ نظام الدين: دعاني شيخي ذات يوم وكان ١٣ من رمضان سنة ٦٦٩ ه وسألني هل أنت متذكر ما قلته لك سابقا؟ فأجبته، نعم، فأمرني بإحضار الورقة ليكتب فيه الإجازة، فأحضرت الورقة، ثم كتب فيها الإجازة، وبعد أن شرفني بالخلافة دعا لي وهو ينظر إلي بقوله " أسعدك الله في الدارين ورزقك علما نافعا وعملا مقبولا " وقال لي: سوف تكون شجرًا مثمرًا يستظل الناس تحته.

ذكر الشيخ أمير الخورد عبارة هذه الخلافة بنصها في هذا الكتاب (ص:١٨٢) يتركها الفقير الي الله خوفا من الإطالة.

مجاهدته:

يقول الشيخ نظام الدين قدس الله سره: "أمرني الشيخ فريد الدين رحمه الله بالمجاهدة الشاقة والعبادة الخالصة والسعي الجاد في هذا الطريق بعد رجوعي إلى مدينة "دهلي" من مدينة "اجودهن" دون تضييع الأوقات، قال لا يجدي لك نفعا عدم الإنشغال في المجاهدة والتعطل عنها، وقال: القيام بالصيام نصف الدين وبقية الأعمال نصف الدين، فما إن سمعت أمر الشيخ بادرت الى الإمتثال به، فبدأت أصوم صيام الدهر، وقد مرت علي أيام ما ذقت شيئا من طعام وشراب وقد مضى علي يومان، ولم يكن شيء من مال تحت يدي لإشتراء بعض الطعام، وهذا هو حال لكل واحد من أهلي وأمي وأختي، فكانت أمي عند تقول عدم تواجد الطعام في البيت: "اليوم نحن ضيوف الرحمن" فكنت أشعر بالفرح والسرور بسماع هذه الكلمة المفرحة نحن ضيوف الرحمن، ويوما من الأيام أهدانا أحد بعض الأطعمة التي أصبحت متوفرة لنا لعدة أيام، وفي خلال هذه الأيام كنت أقول وأتسائل في نفسي متي نكون ضيوف الرحمن؟؟ حتى قالت أمي بعد نفادها: اليوم نحن ضيوف الله، فكاد أن يطير قلبي فرحا وابتهجاحا.

ملخص القول في هذا الباب أن الشيخ نهض بالتشمير عن ساعد جده واجتهاده للمجاهدة الشاقة والمضنية، والإرادة التامة للتخلي عن كل ما لا يليق بسالك هذا الطريق من أوصاف رذيلة وعادات قبيحة، والإستعداد الكامل للتحلي بكل ما يجدر بالسالك من خلق نبيلة وأوصاف جليلة، حتي أصبح الشيخ سلطانَ المشايخ ونظامَ الملة والدين، وصار منبعا صافيا متدفقا للنور والهداية والتوفيق وإسعاد الناس ودلالتهم على ما يوصلهم إلى مقصودهم الحقيقي، وبات موردا عذبا طيبا سائغا لكل عطشان الحب الحقيقي، حيث كل من ذاق من هذا المنهل الشريف الزاخر صفا قلبه، تزكت نفسه، نبلت خلقه، علت همومه، طهرت نيته، ونقي قصده.

في مجال الدعوة وتزكية القلوب:

مما لا يدع للشك مجالا أن الصوفياء العظام والعباد الكرام دائما يكونون في الحرص الشديد والرغبة الكاملة في تبليغ الدين العظيم بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة آخذين بمنهج معتدل ووسطي، دون إفراط وتفريط، و يبذلون قصاري جهودهم لإخراج الناس من معتقداتهم الباطلة وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

فلعب الشيخ نظام الدين دورا هاما في نشر الإسلام بين أبناء الهند الذين معظمهم يدينون بدين باطل ويشركون بالله و يتعبدون بغير الله الواحد القهار، وخاصة قام الشيخ بتزكية قلوب المسلمين وتصفية نفوسهم وتنقية نواياهم، وإنارة قلوبهم بنور المحبة الإلهية، وإشعال عواطفهم الخامدة للتذوق بالذوق الرباني، وتوقيد جذوتهم المنطفئة للتلذذ بالجمال الحقيقي،حتى تاب على يديه الشريفة الوف من المسلمين وترعرعوا برعايته فاذا هم أنقي من الذهب الخالص وأصفي من الجوهر النفيس.

بعد ما صار الشيخ مرجع الخلائق ومحط الأنظار ،ملاذا لكل شارد، محبوبا لكل وارد بدأ ينزعج من هذه الشهرة والظهور فأراد أن يرحل إلى مكان حيث لا يعرفه أحد، فجاء شاب يافع وجميل وقال للشيخ، الأساس في هذا الأمر عدم الشهرة ولكن لو صرت ذا شهرة بين الناس، فالانشغال في العبادة والسلوك إلى الله وأنت بين الناس أفضل مكانة وأكثر قبولا من انشغالك فيها وأنت مبتعد ومنعزل عنهم، فطرد إرادة الرحيل من هذا المكان الذي كان فيه.

أقواله وتعاليمه :

قال الشيخ نظام الدين رحمه الله تعالي: إن السالك في هذا الطريق يتشوق ويتطلع دائما الى درجة ما هو أعلى من درجته هو، وقال إن السالك في هذا الطريق له ثلاثة أقسام:

أولا السالك الذي يتبع المسير للوصول الى ما يتمنى من قرب الله بكبح جماح نفسه وبالدوام على الوضوء والصوم وبالتعود على قلة الكلام والمنام والطعام.

ثانيا الواقف الذي تحل به عقبة وعائقة إثر ذنب اقترفه، او بعد عدم الاهتمام البالغ بما هو عليه من السلوك في الطريق إلى الله تعالى، فعليه سرعة القيام بالتوبة والإستغفار كي يعود عليه الحال من التذوق بالعبادة والخلوة ويبقى عليه.

ثالثا الراجع الذي عاد الى ما بدأ منه فلا يبقي له حال يتذوق فيه بالعبادة والمجاهدة، والعياذ بالله تعالى.

ذات مرة قال: إن بعض الناس يغيرون شيوخهم ولا يكتفون بواحد لنيل الإجازة والخلافة فهذا العمل غير مقبول على الإطلاق ،إن البيعة الحقيقية لا تعدو عن واحد، ولو أن هذا الشيخ الأول يكون من عامة الناس.

ذات يوم قال: إن الصادقين ينجلي الصبح لهم من طلوع الشمس، أما العاشقين فصباحهم بعد غروب الشمس لأنهم يحيون لياليهم بذكر حبيبهم متشوقين إليه، متلذذين بذكره، متمتعين بجماله، هولاء هم المشايخ في حقيقة الأمر.

وقال: إن الإنسان لا يزال ويأثم ويقترف الذنوب ما لم يحتل حب الله تعالي في قلبه مكانة سامية ولا بد في هذا الطريق من الصبر والتوكل والرضي وهو أن لا يرفع شكواه إلى من سوى الله عند مواجهة الشدائد والمحن.

وفاته:

كان قلب الشيخ يطفح حبا كثيرا وعشقا شديدا لحبيبنا وسيدنا مولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فرأي في المنام قبل وفاته بأيام قائلا: يا نظام الدين أنا مشتاق لرؤيتك ، فترك تناول الطعام والشراب قبل وفاته بأربعين يوما حتى اشتد به المرض، ولحق بجوار ربه الكريم يوم الأربعاء ١٨ من ربيع الأول سنة ٧٢٥هـ ودفن في دلهي، وشيد ملك الهند السلطان محمد بن تغلق على مقبره القبة المباركة. فرضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وغفرنا الله تعالى بحقه وحق عباده الصالحين عليه الرحمة والرضوان.ذ

مراجع ومصادر : سير الأولياء للشيخ خواجه امير خورد الكرماني، أخبار الأخيار للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، فوائد الفؤاد المرتب: الشيخ أمير علاء السجزي.

العلامة المحقق، العارف بالله

الشيخ سعد الدين الخير آبادي رضي الله عنه

الباحث/ إظهار أحمد السعيدى

مولده:

الشيخ العارف الزاهد النحوي الأصولي سعد ابن بدهن الخيرآبادي أحد العلماء المبرزين الهنود في النحو والأدب والفقه والأصول والتصوف. ولد ٨١٧ هـ في بلدة "أُنَّاؤ" إحدى البلاد المجاورة بـ"لكناؤ"(١) في أسرة دينية تنفجر البركات وتفيض الخيرات من جميع جوانبها.

اختلفت وجهة نظرالعلماء في نسبه إلى قولين : الأول .

ينتمي إلى بني إسرائيل فهو إسرائيلي النسب، وأول من وصل من أجداده إلى الهند من إيران هو قاضي قدوة.

بين العلامة خواجه كمال نسبه في كتابه تحفة السعداء:

قطب العالم المخدوم الشيخ سعد بن القاضي بُدّهن بن شيخ بن محمد بن مسعود بن زين الدين بن موفق بن قدوة بن داؤد شاه بن مبارك شاه بن علاء ميرك شاه بن عمرشاه بن فرد شاه بن سليمان شاه بن يهود شاه بن يعقوب النبي. (٢)

وتجدرالإشارة إلى أن هذه الشجرة النسبية ليست كاملة وإنما هي ناقصة، لأنها تُوصِلُنا إلى سيدنا يعقوب عليه السلام بأربع عشرة واسطة. والأمر واضح وضوح الشمس أن هذه الوسائط القليلة غير كافية للوصول إلى سيدنا يعقوب عليه السلام. لأن بينهما قرون متوالية متتابعة تتقاضى الوسائط الممتدة الطويلة، وتتحتم الوسائط الأكثر طولا. وبالإضافة إلى ذلك هناك مظان أخرى تتحدث عن شجرته النسبية فهي تفصح عن ست عشرة واسطة بينه وبين قاضي قدوة فحسب، بينما الشجرة الثالثة تفصح عن إثنتي عشرة واسطة بينه وبين قاضي قدوة.(٣) وذلك يؤدي بنا إلى القول: إن الشجرة المذكورة في تحفة السعداء هي شجرة ناقصة غير كاملة.(٤)

---

(١) عين الولاية ، ص : ٥٨.
(٢) تحفة السعداء ، ص: ٣٦ ، مجمع السلوك مترجم ، ص : ٣٤.
(٣) ذكرة المخدومين ص : ٩٢.
(٤) مجمع السلوك مترجم ٣٥.

وكذلك ما كتبه الشيخ عبدالحي الرائي بريلوي في كتابه نزهة الخواطرعن نسب قاضي قدوة هو يختلف عما كتبه خواجة كمال في تحفة السعداء. حيث يقول عبد الحي: الشيخ الكبير القاضي قدوة الدين بن ميرك شاه بن أبي العلي الإسرائيلي الأودي.(١)

والقول الثاني: إنه من سلالة النبي ﷺ حيث يقول صاحب البحر الزخار: إن سلطان روم الذي كان إسرائيليا زوّج ابنته مع والد قاضي قدوة الذي كان من سلالة النبي ﷺ. فهو أيضا أصبح من سلالة النبي ﷺ نسبا من جهة الأب.

وأما شهرته بالإسرائيلي فهو بسبب أمه لأنها كانت إسرائيلية.(٢)

نشأته :

تربى وترعرع الشيخ – قدس الله سره – في أسرة دينية وعائلة روحانية. أخذ العلوم الابتدائية في مسقط رأسه، وكان أبوه القاضي بدر الدين الشهير بقاضي بُدّهن يتولى منصب القضاء في البلدة "أناؤ" آنذاك، ويحرص الحفاظ على حدود الشريعة الإسلامية، وعلى البحث عن الحلول لمشاكل الناس، وقضايا الجمهور، كما كان أكبر همه تصبيغُ الناسِ بصبغة العدل والإنصاف. وقد دعته هذه الصبغة الدينية إلى بعث ولده إلى المدرسة حيث ينال من العلم ماينال. وكثّف جهوده في سبيل ذلك. ولكن لم يمض فترة طويلة على ذلك إذ فاجئته نبأ وفاة أبيه، فلم يحظ برعاية أبيه كثيرًا، ولم يتمتع بشفقته طويلًا . ثم آلت رعايته إلى أمه. وهكذا انتهت به التربيته في حضن أمه.

يقول عبد الحي الرائي بريلوي: كان والده قاضيًا بخير آباد وتوفي في صغر سنه فتربى في حجر أمه.(٣)

نشأته العلمية :

النبوغ في العلم، والحذق، والذكاوة، والنباهة، والنجابة كانت تظهر في جبينه منذ صغره . يقول السيد غلام على آزاد البلغرامي :

آثار الرشد والهداية تلمع في جبينه منذ نعومة أظفاره، فمنذما لحق بالمدرسة كان يحفظ كل يوم واجباته المنزلية، وكان يقرأها في الليل ألف مرة.(٤) وخاصة ركزاهتمامه على حفظ القرآن الكريم وبذل في ذلك جميع مجهوداته حتى أتم ذلك وأتقنه وهو في نعومة أظفاره.

---

(١) نزهة الخوطر، ص : ١١٤.
(٢) البحرالزخار، ص : ٢٤٢.
(٣) نزهة الخواطر، ج / ٣ ، ص : ٢٥٢.
(٤) مآثرالكرام تاريخ بلغرام، ص : ١٩٠.

ولما فرغ من حفظ القرآن وهو صغير انقطع عن الملاعب والملاهي وتوجه بكل رغبة وحرصٍ إلى العلم، ولما بلغ أشده خاض في بحاره، وا ستقى من موارده، وا ستفاد من عباقرة زمانه.(١)

وجدير بالذكر أن الشيخ استهلك خمسين عاما في طلب العلم،[٢] ومن هنا نقول بدون ريب بأن الشيخ شرحٌ كاملٌ للبيت الذي قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه في كسب العلم:

أخي لن تنال العلم إلا بست سأنبئك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

فالذكاء، والحرص، والاجتها، والبلغة، والصحبة، وطول الزمان كله متوافرلديه على وجه الكمال.(٣)

يقول خواجة كمال في تحفة السعداء : قطب العالم تلمذ على يد ملك العلماء بدرالصلحاء القاضي مسيح بن الشيخ مرتضى، واستفاد واكتسب منه العلم خمسين عاما، ثم ترك موطنه "أُنّاو" وغادر إلى لكناؤ ولجأ إلى شيخه المخدوم الشاه مينا – قدس الله سره – وأقام في صحبته عشرين عاما . وبعد انتقال شيخه إلى رفيقه الأعلى امتدت إقامته في جواره ست سنوات ولم يكن يفارقه. (٤) لولا المنام الذي رأه وسيأتي بيانه .

وما سبق عن قريب أنه استفاد من القاضي مسيح بن شيخ مرتضى، وظل يستفيد إلى خمسين عاما وإن كان هذا مذكور في الكتب المعتمدة في سيرته والمصادر الأساسية في ترجمته إلا أنه أمر لاتطمئن إليه النفس ولايرتاح إليه القلب.(٥)

وممن تلمذ عليه واستفاد منه كثيرا، أستاذه العظيم الشيخ محمد أعظم الذي كان من مشاهيرفقهاء الحنفية في تلك الديار[٦]. وهكذا أكمل على أيادي الأساتذة جميع العلوم المتداولة وغيرها في عصره. وأصبح علّامة الزمان، محققا في الفروع، والأصول، والعلوم العربية ، يشار إليه بالبنان . حتى يأتي إليه الطلاب من كل فج عميق. ولكن مع ذلك ما كان يعد نفسه من جملة العلماء تواضعا وكسرا لنفسه.

---

(١) عين الولاية، ص: ٥٩.
(٢) مجمع السلوك، مترجم ، ص: ٣٦.
(٣) مجمع السلوك، مترجم ٣٦
(٤) تحفة السعداء، ص: ٣٧.
(٥) مجمع السلو مترجم، ص : ٣٧.
(٦) خزينة الأصفياء، ص: ٣٠٤.

إن الشيخ – قدس الله سره – كان من أولي العزم في الحفاظ على الطريقة وآدابها وعارفًا بعلوم الشريعة وجزئياتها وجامعا بينهما، ولم نكن نبالغ لوقلنا : إنه كان السعد الأكبر على فلك الرواية والدراية والنير الأعظم على سماء الولاية والكرامة، كما "في سبحة المرجان"(١) عاش طيلة حياته عازبا شغوفا ولوعا بالسماع مثل شيخه.

زهده وورعه:

فاق على أقرانه في الزهد والورع، والتبتل إلى الله، والخشية الربانية، وما إلى ذلك من آداب الطريقة، وكان يحتاط في مأكله ومشربه أشد الاحتياط ويتورع من الطعام الذي دخل فيه ريبٌ. أوشك فيه أنه قد يكون من مكتسب الجاني أو الغاشم فضلا عن أن يتحقق في اكتسابه الظلمُ والجورُ.

الحكاية:

أسوق إليكم حكاية هي تحكي لنا أشد ولوعه بالزهد وأعظم اعتنائه بالتقوى. وعصارة ما في الحكاية: أن السلطان سكندر لودي وجّه إليه دعوة للقاء. وأشار إلى جلسائه وأعوانه أن يقوموا بخرق السفينة التي يستخدمها الشيخ لعبورالنهر ويسدوا هذا الخرق حتى إذا وصلت السفينة وسط النهر فعليهم أن يزيلو هذالسد ليغرق الشيخ مع أهل السفينة. فامتثلوا ما قيل لهم . رغم ذلك بمشية الله تعالى وبكرامة الشيخ لم تغرق السفينة فنجّى الله أهلها وعَبَرُوالنهر بالأمن والسلام دون أن يمسّهم مكروه مّا. فتحيّر رجال السلطان وأخذهم الاستغراب بمارؤا من قصة عجيبة لايكاد يتصور العقل صحتها. ومن عصارة الكلام أنه لما وصل الشيخ إلى السلطان فأخذته الغيرة والندامة جرّاء ما دبّرمن المكيدة الفاشلة مع الشيخ. فاعترف بذنبه، ووقّر الشيخَ وعظّمه وكرّمه.

أقام الشيخ عندالسلطان عدة أيام، وهو لا يأكل مايأتي من المأكولات والمشروبات من قصرالسلطان ومنزله مخافة من أن يشوب فيها نوع من الحرام أو ذرة منه .وعلى هذا الاحتياط عاش أثني عشريوما على الماء فقط. ولكن لما اطلع على هذا السرخليفته قاضي محمد منّ الله الذي كان معه . فقصّ هذه القصة أمام أمير من أمراء السلطان الذي كان محتاطا أشد الاحتياط في الحرام والحلال ومجتنبا من الحرام والمعاصي. فمنذ ذلك اليوم كان الأمير يُعدّالطعام للشيخ في بيته ثم يرسله إليه، فبدأ الشيخ يتناول الطعام . (٢)

---

(١) سبحة المرجان ، ص : ٩٣.
(٢) البحرالزخار . ص : ٧٩ .

وجاءت القصة بعينها في "ذكر سعد" باختلاف يسير، وها إليكم ما جاء فيها:

كانت في عصره قرية أصحابهاكانوا يتديّنون بدين الإسلام فمرة أشارأميرها إلى من هم حوله من حلفائه وحواريه أن ينهبوا تلك القرية ودمروها. ففعلوا بما أُمروا به، ثم جعلوا يبيعون تلك الأشياء المنهوبة في السوق والشيخ مع القافلة وصل إلى ذلك السوق فلم يشتر شيئا من هذا السوق مع أنها كانت تباع فيها أشهى المطعومات والمشروبات بأنواعها المختلفة و الفواكه بأقسامها العديدة. رغم كل هذا لم يلتفت إليها بمجرد وجود الريب فيها لعلها تكون من ذلك المنهوب والمسروق أو أن لها صلة خفيفة أوعلاقة يسيرة من أية جهة بذلك المنهوب. فلم يأكل منه شيئا. وهكذا ظل الشيخ جائعا ١٢ يوما مكتفيا بالماء. فاطلع عليه الشيخ القاضي مَنُّ الله قدس الله سره أحد من تلامذته و خلفائه فبادر لحل هذه المشكلة وعثر على أمير من أمراءالقافلة الذي كان يحتاط أشد الاحتياط في طبخ الطعام وكان طعامه بعيدا أشد البعد من المحرمات وغير ذلك من الأشياء التي يجب أن تكون أطعمة الأصفياء بعيدة عنها. فيؤتى إليه بالطعام من هذا الشخص المذكور فيتناوله الشيخ.(١)

وهذا أدل دليل على ورعه وتقواه. فأين نحن من هولاء الربانيين الذين تَبَتّلوا إلي الله تبتيلا وانقطعوا عما سواه!! ، بون بعيد بيننا وبينهم. اللهم اجعلنا منهم.

بيعته وخلافته:

بينما هو كان يحصل على العلوم الظاهرة توجه إلى قطب العالم الإمام القدوة العارف الشيخ محمد ابن قطب المعروف بـ "شاه مِيْنَا" اللكنوي قدس الله سره (المتوفي: ٨٨٤هـ)، للحصول على المعارف الباطنة فبايع على يديه وصحبه عشرين سنة، وحصل على الإجازة و الخلافة ولبس الخرقة في الطرق التي تسلسلت إجازاتها إلى شيخه كابرا عن كابر.ولقطب العالم خليفتان : أحدهما الشيخ سعد الدين الذي نحن بصدد ترجمته، والثاني إبن أخيه الشيخ قطب الدين .(٢)

ولم يزل الشيخ- قدس الله سره ـ ملازما لشيخه في زاويته حتى لحق شيخه برفيقه الأعلى فأصبح كعبة الطالبين ومطلب السالكين و جعل الناس يفدون إليه أفواجا . ثم ذات يوم رأى شيخه في منامه وهو يأمره بأن يرتحل إلى خيرآباد فارتحل إليها وتولى المشيخة وجلس على منصب

---

(١) ذكر سعد، ص : ٢١.
(٢) عين الولاية، ص : ٥٩.

التدريس والإرشاد، فأفاد وأجاد وأوصل المريدين إلى المراد وأرتوى من مناهل علومه الظاهرة والباطنة خلق كثير.(١)

تنبيه هام :

يقول الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي في كتابه "أخبار الأخيار" مبيّنا عن منهج الشيخ سعدالدين الخيرآبادي في كتابه مجمع السلوك: كلما يقول الشيخ سعد الدين : "قال شيخي شيخ مينا أدامه الله فينا"، فيُريد به شيخه القطب الإمام العارف الشيخ محمد بن قطب المعروف بشاه مِيْنَا اللكنوي قدس الله سره (المتوفي: ٨٨٤هـ). (٢)

أقول : ماكتبه الشيخُ المحدّثُ فيه نوع من التسامح؛ لأن العبارة التي نقله الشيخ المحدّث عن "مجمع السلوك" هي لم ترد فيه أ ولا يُعقل أن ترد، لأنها تتضمن دعاء لمن هو على قيد الحياة. و شيخه لم يكن على قيد الحياة عندما شرع في تأليف " مجمع السلوك "، فلا معنى لقوله : أدامه الله فينا. لأن شيخه توفي سنة (٨٨٤ هـ) وبدأ تأليف "مجمع السلوك " سنة (٨٨٩ هـ)

والعبارة التي وردت في مجمع السلوك هي : سراج الملة والزمان، شيخ شيوخ أهل الإسلام، قطب العالم والأنام، مظهر الشرع والشريعة، كاشف الحق والحقيقة، الشيخ محمدقطب المعروف بـ الشيخ مينا أدام الله بركاته فينا ٣. فحَدَثَ ما حَدَثَ من الشيخ المحدّث .

ولايُستبعد أن تكون كلمة " بركاته " سقطت من سهوالناسخ فأصبحت العبارة" الشيخ مينا أدامه الله فينا" .

و المؤلف نفسه أيضا صرّح بوفاة شيخه في مقدمة كتابه حيث يقول:

لقد ألحّ عليّ بعض من أحبابي الذين درسوا لدي الرسالة المكية أن أكتب لها شرحا يدفع غموضها ويزيل خفاءها ويكون مرجعا للسالكين ومطلبا للتوابين ومقصدا للمنيبين إلى الله، ولكن وفاة شيخ العالم في ٢٣ صفرالمظفر عام (٨٨٤ هـ) سلبت هدوء بالي فتراكمت عليّ الهموم والأحزان من أجل فرقة صحبته وأحاطتني الكوائب والكوارث بعد هذه الحادثة الفاجعة من كل جانب، فذهبت عني حلاوة الحياة ولم أكن في حالة أن أفعل شيئا فضلا عن أن أشرح هذ الكنز العلمي، والحقيقة أن بضاعتي مزجاة للقيام بهذا العمل الجليل، وبينما كنت في هذا التشويش والتفكير حتى

---

(١) عين الولاية، ص : ٥٩.
(٢) أخبارالأخيار ، ص : ١٩٩.
(٣) مجمع السلوك مترجم . ص : ٦٢.

فاجئني قدوم سيد السادات، منبع السعادات، قرة عين الرسول ، فخر أحفاد البتول، سيد جلال الدين بن سيد أبو طاهر تاج ـ أدام الله جلاله وحقق في الدارين جماله ـ وهو أيضا أسعدني بالمشورة أن أكتب لها شرحا فأنزلت مشورته في منزلة الحكم وتركت الكسل لأن الكسل شعبة من الزندقة. وغلبت عليّ خشيةُ أن لا أكون مستعصيا لأمره بل أردت أن يُدرج إسمي فيمن يحبونه، لأن حبه مطلوب حتى القرآن أيضا يتطلب منا محبته، حيث يقول الله تعالى: " قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى " (الشورى : ٢٣) فبدأت شرحها بفضل الله تعالى ومنِّه.(١)

خلفائه :

خلف غير واحد من الخلفاء لكي يقوموا بأداء مهمة التبليغ والإرشاد ويؤدوا واجبات نشر الإسلام، وكلهم كانوا مرزوقين من الله تعالى قمة الذكاوة والنباهة وموهوبين منه الفطانة والحذاقة، عددهم يبلغ قرابة ٢٥ خليفة كما ذكرهم الشيخ السيد عبد الواحد البلجرامي في كتابه (سبع سنابل). ومنهم:

(١) الشيخ محمود بن محمد البلخي اللكنوي قدس الله سره.

(٢) الشيخ مبارك الخيرآبادي قس الله سره.

(٣) شيخ الإسلام عبد الصمد المعروف بالمخدوم شاه صفي الصفي فوري قدس الله سره (المتوفى: ٩٤٥هـ)

(٤) الشيخ محمد مبارك البِجْنَوْري اللكنوي قدس الله سره

(٥) الشيخ القاضي مَنُّ الله الكَاكُوروي قدس الله سره

(٦) الشيخ چاند الأچولوي قدس الله سره

(٧) الشيخ راجه مينا الكهيولوي قدس الله سره

(٨) الشيخ سكندر الخيرآبادي قدس الله سره

(٩) الشيخ عماد البلجرامي قدس الله سره

(١٠) الشيخ ملك الشمس آبادي قدس الله سره (٢)

---

(١) مجمع السلوك مترجم ، ص : ٧٥.

(٢) عين الولاية، ص: ٦٢.

خدماته :

ومما لايراب بأن الشيخ كان عالما متمكنا متقنا في العلوم الظاهرة، وفي نفس الحين كان راسخ القدم في العلوم الباطنة، وكان عارفا بأسرارالطريقة ورموزها، فانفجر من منبعه الصافي نهران: نهرفي العلم الظاهر، والآخرفي الباطن، رزقه الله سبحانه وتعالى حياة طويلة ممتدة تبلغ مدتها مائة وثمانية أعوام . منها: استهلك خمسين عاما في طلب العلم، وأنفق عشرين عاما في خدمة شيخه، وهكذا وصل إلى سبعين عاما من عمره.

والحياة التي أنفقها في مجال خدمة الدين والتبليغ والدعوة والإرشاد هى مقصورة في ثمان وثلاثين عاما فقط . فعاش ست سنوات بعدوفاة شيخه في لكناؤ، وإثنين وثلاثين عاما في خيرآباد.

وفى الفترة التي عاش فيها في لكناؤ كانت زاوية الشيخ قوام الدين العباسي مفوّضةً إليه.

وكذلك أقام زاوية أخرى في لكناؤ غير زاوية الشيخ قوام الدين.

ولما وصل إلى خيرآباد فأقام زاوية هناك أيضا. يربي فيها الطالبين والسالكين ويزكيهم .

وأقام في خيرآباد مدرسة أيضا ليعلّم الطلاب ويزيّنهم بالعلوم الظاهرة، قبل أن يُسلِكهم مسلك الطريقة، وليجمّلهم بالعلوم التي هي وسيلة للوصول إلى العلوم الباطنة، لكي يهيّيء الطلاب أنفسهم للدخول في سبيل السلوك والمعرفة. وشيخ الإسلام عبدالصمد المعروف بـ"مخدوم شاه صفي" كان هذا الجوهر الفريد من هذا المعدن العلمي ومن أبنائه الروحيين . فهو أيضا كان ممن نهلوا من هذا المنهل العلمي العظيم.

آثاره العلمية:

و كان له قلم سيال فترك للباحثين ذخيرة علمية وكتب كثيرا من الشروح على كتب الأصول والعلوم العربية. وما خلف من آثاره العلمية هي تُعدُّ من تراث المسلمين مثل:

(١) شرح المصباح . وهو شرح للرسالة التي كتبها العلامة عبدالقاهرالجرجاني في النحو وسماها " المصباح " .

(٢) شرح الكافية للإمام ابن حاجب في علم النحو.

(٣) شرح حاشية الكافية . (١)

(٤) شرح الحسامي في أصول الفقه الحنفي. ألفه العلامة الإخسيكثي في أصول الفقه الحنفي .

---

(١) مقدمة المحقق، مجمع السلوك، ص : ٤٩.

(٥) شرح أصول البزدوي في أصول الفقه الحنفي. هومتن معروف ومشهور للعلامة فخرالإسلام فخر الدين البزدوي .

(٦) شرح الإرشاد لإمام النحو في الهند القاضي شهاب الدين الدولت آبادي .

(٧) شرح لباب الإعراب. وسماه التحفة المحمودية أيضا. ولباب الإعراب من تأليفات العلامة تاج الدين الأسفرائيني . أما شرحه فقيل : إنه شرح على الكتاب كله. وقيل : إنه شرح على الأبيات الواردة فيه فقط . (١) (٨)

شرح الرسالة المكية للإمام قطب الدين الدمشقي في علم التصوف باسم "مجمع السلوك والفوائد" ـ باللغة الفارسية ـ.

وهذه الشروح تكشف الغطاء عن وجهه العلمي، وتبرزلنا مدى نبوغه في مجال العلم، فإن هذه الكتب كلها تُعدّ من أمهات الكتب في فنونها، يصعب إدراكها وفهمها على الباحثين النابهين، فتذليلها وتيسيرها بالشروح يدلنا على رسوخ الشارح وتفوقه في العلوم العربية الإسلامية.

ولكن مع الأسف البالغ ما زالت هذه الكنوز العلمية مخفية لعدم طباعتها. ونحمدُ الله تعالى على أنه ألهم في قلوب أرباب "أكادمية الشاه الصفي" ـ التابعة للجامعة العارفية سيد سراوان الله آباد التي يتراءسها الداعية الإسلامي الشيخ أبوسعيد إحسان الله المحمدي أطال الله عمره ـ حيث إنهم لفتوا أنظارهم إلى هذه الكنوز المخفية فأخرجوا "الرسالة المكية" بثوبها الجديد ومظهرها القشيب بعد تحقيقها وتخريجها ودراستها العلمية مع إيضاح تام بالمقامات التي احتاجت إلى الإيضاح والتفسير، وكذلك شرحها "مجمع السلوك" لقدمت ترجمتها باللغة الأردية وطبُعها طبعا أنيقا من نفس الأكاديمية بعد تحقيقه وتخريجه مع شرح واف لما فيه من الدقة والغموض بتعبير جيد وأسلوب رشيق. وفي الحقيقة إنه موسوعة في التصوف، ومنبع للمعارف، ومصباح ينير طريقَ السالكين، ونبراس يستضاء به في الظلمة ويستأنس به في الوحشة.

ثناء الكبار عليه :

يقول العلامة خواجه كمال :

> قطب العلم كان وصل إلى أوج المكال في العلوم الظاهرة والباطنة، وإنه كان على مرتبة الاجتهاد، وكان صاحب مؤلفات عديدة منها: شرح حواشي الكافية، شرح حواشي المصباح، وشرح أشعار لباب الأعراب وسماه تحفة المحمود .

(١) مقدمة المحقق، مجمع السلوك، ص : ٤٩.

يقول الشيخ المحدث عبدالحق الدهلوي:

كان من الصلحاء، حافظ حدود الشريعة وآداب الطريقة، ذا همةٍ عاليةٍ، وكان متجردا لم يتزوج و سلك مسلك شيخه، وكان له شغف شديد بالوجد والسماع، وكان عالما بعلوم الشريعة والطريقة، وله مؤلفات في النحو، والفقه، والأصول. (١)

يقول الشيخ وجيه الدين أشرف الأودهي :

إن الله سبحانه وتعالى وهب لقطب العالم الأحوال السنيئة والكرامات المشهورةوالكمالات الرفيعة والمقامات العليا والأخلاق الحميدة من الجود والسخاء، وكان ينفق على الفقراء والمساكين، وسكان الزاوية، وطلاب العلم، النقود والأطعمة ليلاو نهارا. لم يكن أحد نظيرا في كماله . (٢)

يقول العلامة غلام علي آزاد البلجرامي :

والشيخ هو السعد الأكبر على فلك الرواية والدراية، والنير الأعظم على سماء الكرامة والولاية . (٣)

يقول البلجرامي في مقام آخر:

آثار الرشد والهداية تلمع في جبينه منذ نعومة أظفاره، فمنذ مالحق بالمدرسة كان يحفظ كل يوم واجباته المنزلية، وكان يقرأها في الليل ألف مرة.(٤)

يقول العلامة فضل إمام الخيرآبادي :

من أولاد قاضي قدوة المخدوم الشيخ سعدبن بدهن الذي كان متقنا ومتمكنا ونابغة العصر في العلوم الظاهرة، كتب التعليقات على الكتب التي كانت تدرس، وله شروح عديدة، وصدرت منه الخوارق والكرامات كثيرة جدا، واكتسب منه الفيضَ خلقٌ كثيرون، وبتربيته وتزكيته ارتقوا إلى الدرجة العلى .(٥)

---

(١) الأخبار الأخيار، ص: ١٩٩.
(٢) البحرالزخار، ص: ٤٤٤.
(٣) سبحة المرجان، ص: ٩٣.
(٤) مآثرالكرام تاريخ بلغرام، ص: ١٩٠.
(٥) خلاصة التواريخ ، ص: ٩٣.

يقول القاضي ارتضاعلى خان الجوفا مؤوي :

حامي شريعة الغراء، مروّج قوانين ملة البيضاء، مسدد ثغورالدين المتين، مجدد حدود الشرع المبين، قدوة أصحاب الفضل والكمال، وزبدة أصحاب الحال والسالكين، حامل علم الهداية والإرشاد، شيخ العالم، قطب الأفراد، وارث الأنبياء والمرسلين، المخدوم سعد الملة والدين، روّح الله روحه، وأوصل إلينا فتوحه .(١)

يقول الصديق حسن خان بهوفالي :

الشيخ : سعدالدين الخيرآبادي: بلدته من صوبة أوده ، كان أبوه الشيخ بُدّهن قاضيا بهذه البلدة، فمات وتركه صغيرا، فحفظ القرآن الكريم في صغره، ولما بلغ أشده تلمذ على مولاناأعظم اللكنوي، بلدة من بلاد بورب، ولبس الخرقة من الشيخ مينا المتوفي سنة ٨٧٤ هـ وجلس للتدريس والإرشادفأفاد وأجاد، وأوصل المريدين إلى المراد، وحرر شروحا غراء على الكتب المتداولة . (٢)

يقول مولانا فقير محمد جهلمي مؤلف حدائق الحنفية:

الشيخ سعدالدين كان فقيها كبيرا أصوليا نحويا، حافظا على حدودالشريعة وآداب الطريقة . كان عازبا.(٣)

يقول السيد عبدالحي الرائي بريلوي :

الشيخ العالم الكبيرالعلامة سعدالدين بن القاضي بدهن بن الشيخ محمد القدوائي الأنامي ثم الخيرآبادي، أحدالعلماءالمبرزين في النحو والعربية والفقه والأصول والتصوف.(٤)

يقول الشاه محمد عزيز الله الصفي فوري :

الشيخ سعدالدين الخيرآبادي ، هو العلامة العارف ، المحقق في المعارف، سأل أحد العارفين رسول الله ﷺ في المنام : ما رتبة السعد في العلماء ؟ فأجابه صلى الله عليه وسلم : إنه في الاجتهاد على رتبة أحمد بن حنبل.(١)

---

(١) الفوائد السعدية، ص: ١٣.
(٢) أبجد العلوم، ج: ٩ ، ص : ٢٢٩.
(٣) حدائق الحنفية، ص: ٣٣٦.
(٤) نزهةالخواطر، ج: ٣ / ص : ٢٥٢.

يقول القاضي أطهر المباركفوري:

الشيخ سعدالدين الخيرآبادي إنه كان متقنًا ومتمكنًا في الفقه، وأصول الفقه، والنحو، واللغة العربية، والتصوف، ومن مؤلفاته: شرح أصول البزدوي، شرح الحسامي، شرح الكافية، شرح المصباح، شرح رسالة المكية.(٢)

وفاته:

انتقل الشيخ- قدس الله سره - إلى جوار رحمة ربه في ١٦ من شهر ربيع الأول عام ٩٢٢ من الهجرة النبوية. ودفن في "خير آباد"، ومرقده يُزار ويُتبرَّك به.

*****

أهم المراجع والمصادر:

(١) " مجمع السلوك" للشيخ سعد الدين الخيرآبادي (المتوفى: ٩٢٢ هـ)

(٢) "أخبار الأخيار" للشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي (المتوفى: ١٠٥٢ هـ)

(٣) " سبحة المرجان" للشيخ مولانا السيد غلام علي آزاد البلجرامي (المتوفى: ١٢٠٠ هـ)

(٤) "الفوائد السعدية" للشيخ القاضي محمد ارتضاء علي الصفوي (المتوفى: ١٢٧٠ هـ)

(٥) "أبجد العلوم" للشيخ صديق بن حسن القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧ هـ)

(٦) "عين الولاية " للشاه محمد عزيز الله الصفي فوري (المتوفى: ١٣٤٧ هـ)

(٧) "نزهة الخواطر (الإعلام)" للسيد عبد الحي الحسني الرأي بريلوي (المتوفى: ١٣٤١)

(٨) خزينة الأصفياء للمفتي غلام سَرْوَر اللاهوري.

---

(١) عين الولاية ، ص : ٦٣

(٢) العلم والعلماء في ديار بورب، ص :٨٩

الطريقة الصفوية الجشتية ورجالها

تاريخا ومنهجا في إشاعة القيم الإسلامية

الدكتور/ محمد مجيب الرحمن العليمي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقدوة السالكين، وعلى اله وصحبه أجمعين.

من المعلوم أنه قبل أن تطلع شمس الاسلام بنورها الساطع على الأرض كانت الدنيا كلها منغمسة في الكفر والشرك والعصيان، والإنسان الذي كرمه الله تعالى وميزه من جميع خلائقه لم يكن على علم صحيح عن خالقه، ومعرفة كاملة عن السبيل الهادي إلى رضاه وعبادته، حيث كفر به واتخذ ربه دونه جل وعلا، مشركا بذاته وصفاته تعالى، معتديا على نفسه و ضميره، محاربا فطرته السليمة التي خلقه الله تعالى عليه، وارتدى الإنسان المخلوق العظيم - إلا من رحم ربي- بكل صفات قبيحة، وعادات سيئة، وأوصاف رذيلة، تنفر عنها الفطرة السمحة نفسها والعقل الإنساني عينه، فضلا عن دين سماوي رباني.

كانت هذه الحالة المقلقة في كل بقاع الأرض، أما أرض الهند فقد كانت أكثر ظلمة وضلالا، بوجود آلاف من الآلهة الباطلين، والمعبودين الكاذبين، والمسجودين المختلقين من الأرض والشمس والبحر والشجر والنار والجبال وغيرها، اتخذهم سكانها أربابهم على غير بينة ودليل.

ولكن بعد أن أشرقت أرض الهند بنور الإسلام وضياء الإيمان وشعاع الإحسان لم تضن بانجاب العلماء الكبار، والفقهاء الكرام، والصوفية العظام الذين سجلوا أسماءهم بارزة بأحرف من نور في سجل التاريخ الإسلامي.

ومن الصوفية العظام الذين قاموا بنشر هذا الدين الإلهي وببذل مجهوادتهم المكثفة لأجل تزكية الناس وتربيتهم في أرض الهند، العالم الرباني، الولي الكامل، الصوفي العظيم، العارف بالله، سيدنا الشيخ عبد الصمد المعروف بـ"المخدوم صفي" السائي بوري (الصفي بوري حاليا) رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وسوف يتشرف هذا الفقير المذنب بإلقاء الضوء على حياته الممتازة وأعماله النيرة وذكر نبذة من الشخصيات البارزين الذين تربوا على يد هذا الشيخ الجليل ونهلوا عن منبعه الصافي المتدفق بالإيمان والإحسان وعن خدماتهم الدينية ومآثرهم التربوية والتزكوية.

ومن بين مناطق الهندية الكبيرة، منطقة قديمة شمالية شهيرة بـ"لكناؤ" عاصمة لـ"أترابراديش" وهي أنجبت العلماء الكبار الذين ذاع صيتهم في الآفاق، وهنا قرية صغيرة بعيدة عن هذه العاصمة على الأقل واحد وتسعون كيلو متر، مسماة ب "صفي فور" وكان اسمها القديم "ساي فور".

في القرن السابع الهجري جاء الشيخ الكبير أكرم العثماني السهروردي المتوفي ٦٧٥هـ إلى هذه المنطقة، وقام بتبليغ الإسلام فيها أحسن قيام، وبعد ثلاثة أجيال ، ولد له حفيده العبقري الشيخ عبد الصمد المعروف بـ "المخدوم الشاه صفي" رحمه الله تعالى، ونسب اسم هذه القرية إليه لأجل أعماله الدعوية والروحية وصارت "صفي فور" بعد أن كانت "ساي فور" ومنذ ذلك الزمان لا زالت هذه القرية مركز علم ونور وهداية وتبليغ.

وأصبح هذا الشيخ العظيم الذي نحن بصدد ذكره مؤسسًا لـ"المشيخة الصفوية" وإليه تنتمي "الطريقة الصفوية" وهي فرع من الطريقة الجشتية النظامية.

أسرته :

كانت أسرته فقيرة، شديدة التمسك بالقواعد الدينية، ومتسمة بالأخلاق النبوية، والقيام بالأحكام الشرعية،ومتنعمة بالكمالات الظاهرية والباطنية ،، وكان والده الشيخ عَلَمُ الدين قدس سره صوفيًا عظيمًا، تربى على يد أبيه الشيخ زين الإسلام قدس سره وأخذ الإجازة عنه، وهو أخذ العلوم الظاهرة والباطنة عن أبيه الشيخ الكبير الشاه أكرم العثماني، الذي سبق ذكره أنفًا.

تعليمه وتزكيته:

حصل الشيخ في صغر سنه على التعليم الابتدائي من أبيه، ثم تأسى بالعلماء القدماء واقتدى بهم حيث رحل تاركًا أهله وبيته لأجل التعليم العالي إلي مدرسة شيخ الإسلام والمسلمين القطب الرباني الشيخ سعد الدين الخيرآبادي قدس سره المتوفي ٩٢٢هـ، وقام بالسعي الحثيث والجهد البليغ في سبيل التعليم، ومن حسن حظه أنه كان شيخ الإسلام الخير آبادي يعلّمه ويرعاه ويوفر له الطعام من بيته لعلاقة طيبة بينه وبين أبيه ، وبجنب التعليم الظاهري ما زال شيخ الإسلام الخيرآبادي يزكي نفس تلميذه، ويصفي قلبه، ويطهر ذهنه من الدنس والقذر الذي يترامى على

نفس الإنسان وقلبه وذهنه، بالصلاة والصيام والأذكار والأوراد، حتى تحلى الشيخ صفي ظاهرًا وتزكى باطنًا في نفس الوقت، ولم يألُ جهدًا في خدمة شيخه، حتى صار محبوبًا ومقبولًا عنده.

فالشيخ أعطاه ما تواترت إليه من الإجازة للطرق الجشتية والقادرية والسهروردية.

وكان الشيخ صفي كثير العلم، واسع الإطلاع، وافر المعرفة، صاحب الكشوف والكرامات، ومع ذلك كان متواضعًا حق التواضع.

يقول الشيخ عبد الحي الراي بريلوي في كتابه الشهير "نزهة الخواطر":

"كان مفرط الذكاء، جيِّد القريحة، سليم الذهن، سافر للعلم إلى خير آباد ودخل في مدرسة العلامة سعد الدين خيرآبادي و جد في البحث والاشتغال، ثم بالأذكار والأشغال، حتى نال حظا وافرا من العلم والمعرفة، ولبس من الشيخ المذكور الخرقة، وصار من أكابر المشايخ في حياة شيخه، أخذ عنه خلق كثير من العلماء والمشايخ منهم الشيخ نظام الدين الرضوي الخير آبادي، والشيخ فضل الله الجون فوري، وغيرهما، وكان سائر الذكر بعيد الصيت، أشهر العارفين قدرا وذكرا، تذكر له كشوف وكرمات."

شيوخه:

لا نجد في ذكر شيوخه إلا اسمًا واحدًا ، ألا هو شيخ الإسلام سعد الدين الخيرآبادي قدس الله سره أحد العلماء المبرزين في النحو والفقه والأصول والتصوف وهو كان مريدًا وتلميذًا للشيخ العارف الرباني محمد بن قطب المعروف بـ"الشاه مينا" قدس الله سره، وتربى على يديه، وصحبه عشرين سنة وأخذ عنه خرقة التصوف، والإجازة وتولى الشياخة بعده ببلدة لكهنو مدة من الزمان، ثم انتقل إلى خير آباد وبنى بها زاوية كبيرة.

وشيخه محمد بن قطب بن عثمان الصديقي اللكهنوي المشهور بالشيخ مينا، ولد ونشأ بمدينة لكهنو في مهد الشيخ قوام الدين العباسي محتسب الأولياء والعارفين، وقد جبله الله سبحانه على الخير فجمع فيه من الزهد والقناعة والاستغناء ما لايوجد له نظير، انقطع إلى الزهد والعبادة ووصل إلى درجة لم يصل إليها أحد من المشايخ في عصره ومصره، فكان شبلي أوانه وبسطامي زمانه وجنيد عصره وتوفي الشيخ قوام الدين المذكور في طفوليته فلبس الخرقة من أحد أصحابه الشيخ العارف سارنك.

والشيخ العارف الزاهد سارنگ قدس سره أخذ العلوم الروحانية عن كثير من الشيوخ الأجلة، من أشهرهم الشيخ الكبير السيد الشريف جلال الدين حسين بن أحمد البخاري (٧٨٥هـ)

وعن أخيه الصغير الشيخ العارف السيد الشريف صدر الدين أبي الفضل راجو القتال البخاري (٨٢٧هـ)، والشيخ المربي قوام الدين العباسي المعروف بحاجي الحرمين (٨٠٦هـ)، والشيخ الهادي إلى دين الله يوسف الإيرجي (٨٣٤ هـ) قدست أسرارهم جميعًا، وأخذ الإجازة عن كلهم إلا الشيخ جلال الدين البخاري، فقد نال حظًا وافرًا من صحبته المباركة دون الإجازة.

خلفاؤه:

لم يكن من خلفائه إلا العلماء الأجلة وذو الكشوف والكرامات، يقول الشيخ مير عبد الواحد البلجرامى في كتابه القيم " سبع سنابل"

"كان جميع خلفاءه علماء وفقهاء، وما ألبس الشيخ خرقة الخلافة جاهلا قط"

ومن خلفائه:

(١) الشيخ بندگِي مبارك الجاجموي قدس سره.

(٢) الشيخ نظام الدين المعروف بـ"المخدوم الهدية الخيرآبادي قدس سره.

(٣) الشيخ حسن فضل الله الكجراتي قدس سره.

(٤) الشيخ حسين محمد سكندر أبادي قدس سره.

وغيرهم من الخلفاء الكبار الذين كانوا منارة علم وهداية للناس في عهدهم، ذكرت هولاء الخلفاء الأربعة فحسب لأجل أنهم كانوا قادة لنشر هذه الطريقة "الصفوية " كما ذكر الشيخ محمد عزيز الله الصفي فوري في "عين الولاية" حيث قال: "إن هذه الطريقة قد انتشرت بهولاء الخلفاء الأجلة." وتم ذكر أسماء هولاء الأربعة الأجلة .

وفاته:

لحق الشيخ بجوار ربه في يوم الاثنين ١٩ من محرم الحرام سنة ٩٤٥هـ/ ١٧ يونيو ١٥٣٨م.

اختلف أكثر المؤرخين في سنة وفاته حيث قالوا: توفي الشيخ في سنة ٩٣٣هـ، ولكن أول الذكر هو الأصح بعد التحليل التاريخي، والبحث الدقيق عنه.

صور من حياة الشيخ بندگى شاه مبارك قدس سره

كان الشيخ صفي عازبًا وحصورًا مثل شيخه وشيخ شيخه، رحمهم الله جميعًا، وكان الشيخ بندگى شاه مبارك ابنًا لاخت الشيخ صفي، فطلبه منها في صغره، وعلمه بنفسه ورباه أحسن تربية، وألبسه خرقة الخلافة وأجازه، فصار هذا الشيخ خير خلف من خير سلف لهذه الزاوية الصفوية، واستمرت هذه الخلافة في أبنائه حتى الآن.

نسبه :

كان الشيخ قدس الله سره من سلالة الخليفة الراشد الثاني سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه، وينتهي نسبه إليه بتفضيل يلي ذكره:

الشيخ مبارك بن الشيخ عبد الملك بن الشيخ محمد (لدن) بن الشيخ (گدن) بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد غوث بن الشيخ محمد حق گو بن الشيخ ملك يار بيران بن الشيخ مخدوم أعلى الجاجموي، بن قاضي سراج بن الشيخ أبو الفتح بن الشيخ محمد عمر بن الشيخ أبو بكر بن الشيخ عبد القادر بن الشيخ حسن السنجاني بن الشيخ عبد المجيد بن الشيخ عبد الكريم بن الشيخ عبد الجليل بن سيدنا عبد الله بن سيدنا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنهم أجمعين.

وفاته:

توفي الشيخ في ٢٤ رجب سنة ٩٥٦هـ/ ١٩أغسطس ١٥٤٩م ودفن قريبًا من مقبرة شيخه رحمهم الله جميعا رحمة واسعة.

استمرت الخلافة ولبس الخرقة في أولاده في هذه الزواية من بعده وذلك كما يظهر فيما يلي:

٢. الشيخ بندگى الشيخ اكرم بن الشيخ مبارك (١٠٢٦ هـ).
٣. الشيخ عبدالرحمن بن بندگى الشيخ أكرم قدس سره (١٠٤٧هـ)
٤. الشيخ عبدالواحدبن شيخ عبدالرحمن قدس سره (١٠٧٥هـ)
٥. الشيخ زاهد بن شيخ عبد الواحد قدس سره (١٠٩٥هـ)
٦. الشيخ بهولن ميان بن شيخ زاهد قدس سره (١١٠٤هـ)
٧. الشيخ عبد الله قدس سره ابن أخ بهولن ميان (١١٦٣هـ)
٨. الشيخ محمد عرف شاهن مياں، ابن شاه نعمة الله أخ الشيخ عبد الله (١٢٠٤هـ)
٩. الشيخ ولى محمد بن شيخ محمد قدس سره (١٢٣٣هـ)
١٠. الشيخ نوازش محمد بن ولى محمد قدس سره (١٢٨٩هـ)
١١. الشيخ ذو الفقار الله المعروف بالشيخ ألطاف محمد بن نوازش محمد قدس سره (١٢٩١هـ) هو خليفة الشيخ خادم صفي وسيأتي ذكره .

١٢. الشيخ خادم محمد بن ألطاف محمد قدس سره (١٣٢٧هـ) وهو خليفة الشيخ عزيز الله الصفي بوري وسيأتي ذكره أيضًا في الأوراق الآتية.

١٣. الشيخ نور محمد بن خادم محمد قدس سره (١٤٠٠هـ)

١٤. الشيخ إعزاز محمد بن نور محمد الفاروقى(١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)

والآن قد تولى مسؤلية أبائه وأجداده الشيخ نوازش محمد بن إعزاز محمد الفاروقي (ولد في: ١٣٩٨هـ) حفظه الله ورعاه، وهو صاحب هذه الزاوية حاليا.

عقيدته ومسلكه:

إنه من أهل السنة والجماعة، يعتقد بما عليه السواد الأعظم من الأمة، فلا خروج فيه ولا رفض.

كما ذكر الإمام الجليل المحقق العظيم الشيخ مير عبد الواحد البلكرامي قدس سره موضحًا ومبينًا عن عقائد الشيخ صفي ومتبعيه في كتابه "سبع سنابل" فقال:

"عقائدهم منزهة ومطهرة من عقائد الرافضيين والخارجيين، متمسكون بعقيدة أهل السنة والجماعة حق التمسك"

وكما ذكر أيضا الإمام الكبير الصوفي العظيم الشيخ محمد عزيز الله قدس سره في كتابه "عقائد العزيز".

مذهبه الفقهي :

هو وأصحابه على مذهب الإمام أبي حنيفة نعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنه ولكن لم يقلده تقليدًا محضًا بمعني أنهم لا يذهبون إلى قول غيره من الأئمة المعتمدين عند الأمة في حين تمسهم حاجة إليه، بل يعملون على قول إمام مجتهد من المجتهدين غير إمامهم وقت الاحتياج إليه دون تردد وشك، بل أحيانا يجتهدون بأنفسهم في المسائل الفروعية أو يعملون على ما يلهمهم الله تعالى في قلوبهم، لأنهم يكونون على معرفة كاملة بمقاصد الشريعة، فياخذون رأيا مستقلا في بعض المسائل الفروعية عند الحاجة والضرورة مع شدة تمسكهم بالمذهب الفقهي الحنفي عامة.

مشربه الصوفي:

الشيخ صفي تحصل الخلافة والإجازة والأوراد والأحزاب والأذكار من عدة الطرق الصوفية، ولكن أتباعهم في غالب الأحيان يأخذون البيعة في ال طريقة الجشتية النظامية،وهم أصحاب المحبة الإلهية والعشق الرباني والسرور الروحاني فهم مشغوفون بالسماع والأناشيد الروحية.

العلماء والشيوخ الذين نهلوا من المنهل الصفوي

إن الطريقة الصفوية تنتمي إليها كواكب نيرة ونجوم لامعة من العلماء الكبار والمحدثين العظام والشيوخ الأجلة الذين لا يسعني ذكرهم في هذا البحث الوجيز بل يستعصي علي إعدادهم جميعًا لأنهم في الكثرة الكاثرة، ولكن لا بد من ذكر بعضهم والإطلالة على سيرتهم الشخصية وخدماتهم العلمية.

الشيخ العالم الكبير السيد الشريف عبد الواحد البلجرامى، صاحب "سبع سنابل"

يقول الشيخ السيد الشريف حمزه الحسيني المارهروي في كتابه " كاشف الأستار":

كان الشيخ عمدة المحققين، قطب الأولياء، واسع الإطلاع، كثير المطالعة، متقنًا وبارعًا في العلوم الظاهرية والباطنية، متضلعًا منها، صاحب التصانيف الكثيرة"

ومدحه الفقيه الشيخ أحمد رضا البريلوي قائلًا:

"إن الشيخ سيد السادة مرجع الفريقين، مجمع الطريقين، حبر الشريعة، بحر الطريقة، بقية السلف، حجة الخلف، سيدنا ومولانا مير عبد الواحد الحسيني الزيدي البلكرامي قدس الله سره صنف كتابًا قيمًا جليلًا سماه "سبع سنابل".

ولد الشيخ البلكرامى في قرية مسماة بـ"ساندي" سنة ٩٢٧هـ ، وتوفي في بلكرام سنة ١٠١٧هـ . وفي بداية عمره بايع على يد الشيخ المخدوم شاه صفي، ثم حصل على العلوم الشرعية وتربى على يد خليفة الشيخ صفي، الشيخ العارف محمد حسين السكندرآبادي (ت ٩٧٨هـ) ، وأخذ الإجازة منه، ذكر الشيخ البلكرامي هذه المكرمة في كتابه سبع سنابل، قائلًا:

"هذا الفقير مريد للشيخ صفي وحصلت له الخلافة من الشيخ حسين، وهو أحد من خلفاء الشيخ صفي الأجلة، كانت هناك علاقة وطيدة وألفة كثيرة ومحبة وفيرة بين أبي وشيخي، وكان والدي أيضًا من خلفاء الشيخ صفي، لأجل هذا تمسكت بالشيخ حسين، وهو أكرمني بعنايته الخاصة واهتمامه البالغ، وألبسني خرقة الخلافة، والفقير ليس بجدير لها، وأنا أحمد الله وأشكره عليها، حيث جعلني مريدًا لشيخي وخادمًا له، والحمد لله والشكر له بأنه شرفني بالتمسك بأذيال هولاء المحبوبين عنده، أما نحن فخدماءهم وأما هم فسادتنا."

وأما كتابه "سبع سنابل" فهذا كتاب قيم يشتمل على ذكر المشايخ وحياتهم وخدماتهم، وما إلى ذلك وذكر فيه قواعد التصوف وأسراره ورموزه والمعارج والمذاهب التي تساعد السالكين إلى الله على تجاوز العقبات الآتية في السبيل، وتذليل العراقيل في الطريق.

الشيخ العالم الجليل السيد عبد الرحمن البنجابي اللكنوي قدس سره

كان الشيخ صوفيًا عظيمًا، محققًا مشهورًا في زمانه، عالمًا جليلًا، قد ارتوى من الطريقة الصفوية كمال الارتواء، مزكيا نفسه، مطهرًا قلبه، مالئًا صدره بالشوق الإلهي والذوق الرباني، وحصلت له الإجازة من الشيخ شاه بير بخش الصفي فوري، قدس سره.

وله كتاب قيم حول التصوف وأسراره ورموزه باسم "كلمة الحق"

وله مجموعة ملفوظات أيضًا، مشهورة باسم "أنوار الرحمن بتنوير الجنان"

الشيخ قدرة الله غوث الدهر القدوائي قدس سره

الشيخ قدرة الله ينتمي الي أسرة "قدوائية" موجودة بالمنطقة "باره بنكي". مرة كان الشيخ في موسم الحج في مكة، فأخبره أحد عن هذه الطريقة الصفوية وزوايتها في "صفي فور " فأتى إليها، وبايع علي يد الشيخ عبد الله قدس سره، وهو صاحب هذه "الزواية الصفوية" السابع ، وداوم على الأذكار والأحزاب حتى تمت له الإجازة من شيخه، وقد أسلم على يديه كثير من الهندوس، وله سبع عشرة خليفة، أكثرهم من العلماء الأجلة في ذلك الزمان.

توفي الشيخ في ١٢ من رجب سنة ١١٨٣هـ الموافق ١٧٦٩م، ودفن في صفي فور.

من الأشياء العجيبة التي تترك التأثير العميق في النفوس بأن كل من أتى إلى هذه القرية أخذها مقرًا ومسكنًا، وقضى حياته كلها فيها، ولذلك فإننا نجد هذه الأرض الخصبة الممتازة التاريخية مملؤة بقبور الصالحين والعباد المقربين، ولأجل هذا يقال لها "مدينة الأولياء" ويوجد مسجد وبئر قريبا من كل قبر، وهو أول دليل على ولوعهم بالعبادة والطهارة.

الشيخ العارف إفهام الله قدس سره

كان قدوائي الأسرة أيضًا، يسكن في قرية "بهتولي" قريبة من "لكناؤ" وكان مريدًا وخليفةً للشيخ السيد عبد الرشيد القادري الأمجهري قدس سره، وهذا الشيخ القادري كان من سلالة الشيخ سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالي عنه، طلب الشيخ صفي هذا الشيخ إفهام الله من شيخه القادري الأمجهري في الرؤيا، فأذنه الشيخ القادري للرحيل إلى "صفي فور" وبعد وصوله

إلى "صفي بور" بايع وحصل على الخلافة من الشيخ العارف عبد الله الذي سبق ذكره، واستفاد بالشيخ إفهام الله خلق كثير لا يحصيها العدد، وله أربعة خلفاء.

توفي الشيخ في يوم الأربعاء ٢١ من ربيع الاول سنة ١١٩٦هـ الموافق ٦ مارس ١٧٨٢م، ودفن فيها.

الشيخ العارف القدوة محمد حفيظ الله قدس سره

ولد الشيخ العارف القدوة حفيظ الله في "صفي فور" سنة ١٢٠١هـ، ينتهي نسبه إلى الشيخ بندكى مبارك قدس سره، ونسبه إلى الشيخ بندكي مبارك.

الشيخ محمد حفيظ الله بن الشيخ فضل الله بن الشيخ غلام بير بن مخدوم عالم بن الشيخ عبد الرسول بن الشيخ دانيال بن الشيخ عبدالرزاق بن الشيخ محمد بن الشيخ بندكي مبارك رحمهم الله رحمة واسعة.

بايع على يدي عمه الشيخ الشاه غلام يحيى قدس سره م ١٢٣٢هـ وتربى تحت إشرافه، وكان الشيخ غلام يحي مريدًا وخليفة لأبيه الشيخ غلام بير وهو للشيخ صلاح الدين الكوباموي وهو للشيخ قدرة الله غوث الدهر رحمهم الله أجمعين.

حياته:

كان الشيخ حفيظ الله يسكن مع ابن عمه الشاه غلام زكريا في مسجد الصوفي عبد الرحمن البنجابي اللكنوي، وكان موظفا في شرطة نواب غازي الدين بهادر،

وبعد أن وصل إلى ثلاثين من عمره، جذبته النفحات الربانية حيث ملأت قلبه حبا واشتياقا لربه، فترك وظيفته، وانقطع الي الخلوة وتفرغ لها، وبدأ يبذل أقصى جهوده في طلب رضا مولاه وقربه، ذات ليلة رأى الشيخ إفهام الله في المنام، أنه يأمره للخلوة في زوايته، فقصد إلى "صفي فور" وصار منعزلا في زواية الشيخ أفهام الله، وخلال أيام انعزاله فيها حضر الشيخ محمدي المعروف بـ"غلام بير" الذي كان مريدًا وخليفةً للشيخ أفهام الله في صفي فور من "ساندي" على الإشارة الغيبية من شيخه العظيم، وألبسه خرقة شيخه، وبعد أيام قليلة حضر ابن عمه الشيخ غلام زكريا من "لكناو" ونظر إليه متأملا، ومنحه كل ما وجد من الإجازات من مختلف الشيوخ الكبار.

قضى الشيخ حفيظ الله حياته كلها متواضعًا كمال التواضع، متوكلًا على الله حق التوكل، كثير الاستغراق، وكان يربي كل من يأتي إليه أحسن تربية، حتى حصل لهم الذوق الرباني، والحب

الإلهي،، وكانت له علاقة خاصة روحية بالشيخ سيدنا عبدالقادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه، في آخر حياته، وكان كثير الاستغراق والسماع والبكاء.

هناك كتابان جمعت فيه أقواله:

(١) حفيظ الافهام، جمعه الشيخ منشي يحي علي خان.

(٢) الهدية الصفوية، جمعه المولوي محمد أحسن ولكن من سوء الحظ لا يوجد كلاهما.

وفاته:

توفي الشيخ ليلة يوم الاثنين ٢٢ جمادي الاخري ١٢٨١ه الموافق٢٣ نوفمبر ١٨٦٤م، ودفن في صفي فور خلف مقبرة الشيخ أفهام الله رحمهم الله أجمعين.

المحبوب الرباني، الشيخ خادم صفي المحمدي قدس سره

قطب العالم، الولي الكامل، مجدد الطريقة الصفوية، العارف بالله، الشيخ خادم صفي المحمدي قدس الله أسراره.

ولادته :

ولد الشيخ في ١٢ من رجب سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤ ليلة يوم الاثنين في صفي فور، كان فاروقيًا من الأب والأم كليهما، وكان أبواه وليين كاملين عظيمين.

نسبه:

وأما نسبه فهو خادم صفي بن الشاه عطاءِ صفي بن الشاه محمود معصوم بن الشاه نهال بن الشاه عبد الحق بن الشاه دانيال بن الشاه عبد الرزاق بن الشيخ محمد بن بندكى شيخ مبارك، وينتهي نسب الشيخ مبارك الي سيدنا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، كما عرفنا من قبل،

تعليمه:

تعلم القرآن الكريم في صباه من العالم الكبير الشيخ جراغ على رحمه الله تعالى تلميذ العلامة المحدث الجليل الشاه عبد العزيز الدهلوي قدس سره.

وقرأ بعض كتب السلوك والتصوف من الشيخ الفاضل حكيم هداية الله الصفي بوري الذي كان تلميذًا للشيخ العالم النحرير المحدث اللكنوي ميرزا حسن علي، وحصل على العلوم الشرعية آخذًا كل فن من صاحبه، ووصل إلى درجة عالية رفيعة من العلوم وبرع فيها.

حياته:

كان من صغر سنه مختلفًا عن الصبيان الآخرين، ومشغولًا عن اللعب واللهو بعيدًا عن أماكنه، وبعد ما وصل إلى سن الرشد والفتوة كان كثير التمسك بالأحكام الشرعية، شديد الاعتناء بالسنة النبوية، واسع الاطلاع بالأحكام العملية، كثير الاحاطة بالعلوم الشرعية مع أنه كان يستفسر العلماء عن المسألة الطارئة طالبًا توضيحها وتفسيرها، وكان عابدًا زاهدًا، صوامًا، قوامًا، يصل الليل بالنهار، والنهار بالليل، منشغلا في الأذكار والأوراد والأشغال، منقطعًا إلى الله عزوجل ومتفرغًا له، ولا بد من الاعتراف وصراحة القول بأن الدافع الحقيقي للقيام بهذه العبادات والأعمال المتعبة، كان هو الشوق الإلهي، والذوق الرباني، وتواجد وامتلاء الحب الوفير لمولاه في قلبه، فغطته العناية السماوية بنسماته وجعلته في شوق شديد وعشق فريد، فخرج عارفا بأسرار الدين ومعارف اليقين غارقا في تجليات المعرفة ولوامع المشاهدة.

تزوج مع ابنة عمه، وعاش فقيرًا متواضعًا، غير متعلق بالدنيا وزخارفها.

بيعته وخلافته:

قد نال البيعة من أخ أمه الشيخ العارف حفيظ الله قدس سره، وأكثر من الأذكار والعبادات بعد بيعته بأمر شيخه العظيم، حتى أجازه شيخه بعد التأكد على صفاء قلبه، ونقاء سريرته، وطهارة باطنه، وتزكية نفسه، وتصفية صدره، وأنعم عليه بكل نعمة روحية.

مآثره العظيمة :

كان الشيخ مركز علم ونور ومنبعَ هداية ومعرفة، تمثل حياته حياة النبي ﷺ، وكانت له مجالس يجمع فيها كثير من الطلاب الذين يستفيدون بعلومه الظاهرية والباطنية، ويتعلمون منه الشريعة ومقاصدها، وكان ينفق أكثر أوقاته في التعليم والتزكية والتربية للطلاب والمريدين، ولأجل هذا لم يخرج من قريته صفي فور حتى آخر عمره إلا في أمر جلل، فتربى على يديه العباد الكثرون ونهلوا من معينه الصافي حتى تزكت أنفسهم ووصلوا الي درجة الإحسان و ذاقوا الحلاوة الربانية وباتوا من الصالحين والمتقين.

كراماته :

ذات مرة كان الشيخ في مجلس السماع الصوفي والإنشاد الروحي، وفيه رجل شيعي السيد إرادة حسين، وضحك استهزاءًا وإزدراءًا، فنظر الشيخ إليه نظرة تركته متقلبًا على الأرض كأنه ملدوغ ،

وبعد نهاية المجلس تاب على يديه ووانخرط في سلك أهل السنة والجماعة.

وذات يوم حينما كان الشيخ في بلد "كانفور" لقي بالشيخ غلام رسول النقشبندي قدس سره هناك، وفي أثناء لقائه قال له الشيخ خادم صفي: أرى بيتك لا يرى فيه نور، وبعد ثلاثة أيام من قوله توفي الشيخ غلام رسول النقشبندي رحمه الله، وغير ذلك من الكرامات الكثيرة التي كانت تصدر من الشيخ بين فينة وأخرى.

خلفائه:

أجاز الشيخ قدس الله سره اثنتين وأربعين نسمة بعد إكمال تزكيتهم وإتمام تصفيتهم وكلهم أشرقوا في سماء الدين والمعرفة نجوما وكواكبا وقاموا بأعمال دعوية كبيرة في مختلف ولاية الهند.

ومن أثاره ملفوظاته في كتابين:

(١) نغمه طريقت: جمعه خليفته الشيخ محمد شفيع السنديلوي باللغة الفارسية.

(٢) مخزن الولاية والجمال: جمعه خليفته العظيم المخدوم الشاه محمد عزيز الله الصفي فوري قدس سره في اللغة الفارسية، وتُرْجِم إلى الأردية وهو متداول بين الأوساط الصوفية.

وفاته:

توفي الشيخ يوم الأحد ١٣ من رجب ١٢٨٧هـ/ ٩ أكتوبر ١٨٧٠م ودفن في صفي فور.

الشيخ العلامة القاضي أبو علي محمد ارتضا الصفوي الجوفاموي

ولد الشيخ أبو علي محمد إرتضا علي الجوفاموي سنة ١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م، وتعلم العلوم العقلية والنقلية من أبيه الشيخ القاضي أحمد مجتبى المعروف بـ قاضي مصطفي علي خان الفاروقي الصفوي الجوفاموي، والعلامة حيدر علي السنديلوي وتعلم الأدب من الشيخ محمد إبراهيم البلجرامي، واستفاد من بحر العلوم الشيخ العلامة عبد العلي الفرنكي محلي والعلامة فضل إمام الخيرآبادي، وأخد إجازات الأحاديث النبوية من الشيخ المحدث المشهور والفقيه محمد عابد سندي المدني (١٢٥٧هـ) والعلامة الشيخ عمر بن عبد الكريم المكي (١٢٤٩هـ) رحمهم الله جميعًا.

بايع على يد الشيخ العارف بالله السيد نصير الدين سعدي البلجرامي الذي كان مريدًا وخليفة للشيخ قدرة الله غوث الدهر الصفي بوري قدس سره.

رحل إلى بلدة "مدراس" سنة ١٢٢٥هـ وكان والده قاضيًا بتلك المنطقة، ثم تولى منصب القضاء بعد أبيه، وبالإضافة إلى انجازه مسئوليات القضاء ما زال منشغلًا في التدريس منضمًا إلى

مهمة التعليم، واستفاد به جماعة كبيرة من الطلاب.

ومن تصانيفه القيمة:

تنبيه الغفول في إثبات إيمان آباء الرسول ﷺ، الفوائد السعدية (في التصوف)، النفائس الإرتضائيه (في علم المعاني)، الفرائض الإرتضائيه، نقود الحساب، منحة السَّرَّاء في شرح الدُّعاء، مدارج الإسناد، وشرح قصيدة البردة.

وفاته:

توفي سنة ١٢٧٠هـ الموافق ٥ مايو ١٨٥٤م راجعًا عن الحج، ودفن في المقام "حديدة" قريبًا من "جدة".

الشيخ العلام حسين علي السنديلوي رحمه الله

ولد الشيخ بقرية "سنديلة" إحدى مراكز العلم بالهند سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٥م ، نال العلم من أبيه وعلماء لكناو في معدن العلماء "فرنكي محل".

يقول عنه الشيخ عبد الحي الحسني في كتابه "نزهة الخواطر ":

> "الشيخ الفاضل حسين علي بن غلام مرتضي العمري السنديلوي، كان أصله من صفي فور، ولد بنسديلة سنة أربعين ومئتين وألف، قرأ العلم عن والده ثم دخل لكهنو وأخذ عن علمائها، ثم تصدر للتدريس، وله مصنفات، منها: ديوان الشعر وشرح أربعين كافا وغيرهما، توفي سلخ جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاث ومئة وألف."

ويقول الشيخ عزيز الله الصفي فوري في كتابه "مخزن الولاية"

> كان الشيخ عالمًا وفاضلًا، درس أكثر الكتب المعقولية والمنقولية عن الإمام خادم أحمد الفرنكي محلي (١٢٧١هـ)، وبعد أن أكمل الدراسة المقررة مال إلى التصوف، وبايع الشيخ محمد أحسن السرهندي، وبعد أن سمع صيت الولي الكامل الشيخ العارف خادم صفي تشوق إلى رؤيته، وفي تلك الأيام رأي منامًا، فحضر على الفور وبايع على يديه للتربية الروحية والتنمية الإحسانية حتى صار خليفة له، وبعد الحصول على الخلافة مال إلى الشعر والسماع والإنشاد، وقال الشعر في ثلاث لغات.

الشيخ العارف محمد عزيز الله صفي فوري رحمه الله

الشيخ محمد ولايت علي الملقب بـ " شاه عزيز الله " بن أمير الإنشاء يحي علي خان، ولد بـ"صفي فور" ٦ من صفر ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٠م، نشأ وترعرع في لكناؤ، وكان الشيخ مريدًا للشيخ العارف فتح علي (١٢٧٣هـ) ثم بايع وتربى على يدى الإمام القدوة خادم صفي رحمه الله وصار خليفة له ثم انتقل الى صفي فور، وكان متبحرًا في العلوم الإسلامية، مصنفًا عظيمًا، أديبًا بارعًا، ماهرًا باللغة العربية والفارسية والأردية، ومع ذلك كان كثير العزلة وموصوفًا بالتوكل وغنى النفس والقناعة والصبر والصدقة والإنفاق، وكان يحب مجالس السماع والإنشاد، كثير البكاء والوجد، والرقص فيها.

صنف أكثر من أربعين كتبًا، منها:

عقائد العزيز، عين الولاية، مخزن الولاية والجمال، سوانح أسلاف، تعليم المخلصين، إعجاز التواريخ، بيان التواريخ، قصيدة مرأة الصنائع، مثنوي فتح مبين، ديوان ولايت (بالفارسية) ديوان عزيز (الفارسية) وله يد طولى وذوق سليم رفيع في قرض الشعر باللغتين الفارسية والأردوية في المحامد والمدائح والمناقب وله أيضًا قصيدة باللغة العربية في مدح النبي ﷺ كما يلي:

إنني عبد ذليل يا نبي الهاشمي	أنت محبوب جميل يا نبي الهاشمي
آه من نفس ومن أعمالها يا مصطفى	فاشفني أني عليل يا نبي الهاشمي
كيف ياتي مثلك بدر منير في الوجود	إن هذا مستحيل يا نبي الهاشمي
ليس في قلبي بتصميم وإيمان سواك	قصتي فصل طويل يا نبي الهاشمي
قد مضي الأيام فاشفع للعزيز المفتقر	عمره الفاني قليل يا نبي الهاشمي

وهناك كثير من العلماء والفضلاء والمشايخ الذين كانوا ارتووا من المورد العذب الفياض، وسلكوا إلى المنازل والمقامات وتمتعوا بالطمانينة القلبية، والسكون النفسي، والراحة الروحية طالبين رضاء مولاهم جل وعلا مجدين وساعين في هذا السبيل سعيا جادًا حثيثًا.

ومن الذين تركوا بصماتهم على الأوساط العلمية والدعوية من خلال كتبهم القيمة العلمية التي نالت حظا وافرا من الإهتمام من الدراسين والقراء :

العالم الجليل أكبر علي بن ملا حمد الله السنديلوي (١٢٢٠هـ)

و شاه حيدر علي بن ملا حمد الله السنديلوي (١٢٢٥هـ)

والقاضي مصطفي علي خان الفاروقي الجوفاموي (١٢٣٤هـ)

ومولانا الحافظ الشيخ شوكت علي السنديلوي (١٣٢٠هـ)

هذه كانت لمعة من لمعات تاريخ حياة المشايخ الجشتية الصفوية وأعمالهم الروحية والعلمية وهذا غض من فيض واغتراف من بحر فحسب – قدس الله أسرارهم جميعا وأفاض علينا من بركات أنفاسهم صباحا ومساء.

****

القاضي عبد الغفور وصاحبه الشيخ عارف صفي قدس الله أسرارهما

الأستاذ/حسن سعيد الصفوي

الشيخ عبد الغفور المحمدي الصفوي رحمه الله.

ولادته:

كان والد الشيخ القاضي غلام حضرت بن قاضي غلام غوث رحمهما الله عالمًا وصوفيًا، توفي أولاده كلهم بأيام صباهم قبل ولادة هذا الشيخ الذي نحن بصدد ذكره، ويوما من الأيام جاء شيخ مجذوب إلى قرية "منديأون" (من مضافات لكناؤ) التي يسكن فيها والده، وأقام في بيته، وخلال إقامته بالبيت قال لوالده: لا تحزن على أولادك المتوفيين، قد حان وقت المولود المبارك الذي ينور قبيلتك بل كثيرًا من الناس، وبعد مرور أيام على هذه البشرى ولد الشيخ القاضي عبد الغفور الملقب بصاحب سرِّ "قل هو الله" سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م.

كان جميل الوجه، منور الجبين، كثير التعظيم لأبويه والامتثال لأوامره، شديد الاحتراز عن اللعب واللغو، مجتنبًا عن تضييع أوقاته، غير منشغل فيما لا يعنيه منذ حداثة سنه، صاحب الصفات الممتازة والأوصاف الجميلة، بشر عديد من أهل الصلاح والتقوى بمستقبله الزاهر، ومقامه العالي، ودرجته الرفيعة، ومنصبه الجليل الذي سيحصل عليه.

حياته:

حصل على التعليم الابتدائي في بيته من الشيخ العالم أعظم علي رحمه الله، ثم رحل إلى بلدة "لكناؤ" وانشغل في تحصيل العلوم الظاهرة، وإبان هذه الأيام كان يحضر في مجلس الشيخ المربي شمس الحق خليفة الشيخ العارف نياز أحمد البريلوي رحمهما الله ويستفيد به حق الاستفادة، وكان الشيخ شمس الحق يلاقي الناس يوم الخميس فقط، ولكن كلما حضر الشيخ عبد الغفور غير يوم الخميس دعاه إلى غرفته الخاصة وأكرمه بصحبته الروحية إشفاقا عليه، وخلال قيامه بـ"لكناؤ" توفي أبوه القاضي غلام حضرت فاضطر إلى ترك التعليم والقيام بكفالة إخوته الصغار والرعاية بهم.

بيعته وخلافته:

وأوصاه والده بأن من يزيد حبك لله وشوقك إليه وينفر قلبه عن سواه فهو ولي الله حقا، ومن بركة صحبته وملازمته وإطاعته تحصل المحبة لله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ.

فكان الشيخ يبحث دائما عمن كان متصفا بما أوصى به أبوه، حتى وجد الشيخ الكبير نياز حسين في قرية "باره بنكي"، وحضر في مجلسه، فوجده على ما أراد، فازداد حضوره في مجلسه متيمنًا به ومستفيدًا منه، ومرة من المرات قال له الشيخ نياز حسين قدس سره: ياعبد الغفور، إنني قصدت الحضور في مجلس شيخي قدوة الكاملين مخدومنا ومولانا خادم صفي المحمدي بمناسبة المجلس الذي ينعقد كل شهر في اليوم الحادي عشر من كل شهر فحينما سمع عن شيخه ازداد اشتياقه له، ووافق على المرافقة معه إليه، حتى قصدا إلى "صفي فور" ماشيين على الأقدام، ثم وصلا إليه وحظيا برؤيته ولقائه، وفي المجلس الأول نفسه طلب منه أن يتقبله في صف مريديه ومتبعيه، فقبل الشيخ منه هذا الطلب الخالص الذي أريد به وجه الله تعالى، وبدأ الشيخ عبد الغفور ينشغل في الأذكار والأحزاب والأوراد بناء على حكم شيخه ومخدومه، حتى وصل إلى قمة عالية ودرجة رفيعة من المقامات الإحسانية ببركة مصاحبة شيخه والالتزام بأوامره، وفي نهاية المطاف جعله خليفة له وأعطاه الإجازة في ٢٠ من محرم ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م.

وبعد ذلك، انقطع للأذكار والأوراد وتفرغ لها تفرغا تاما، تاركا كل ما يشوش عليه من أعمال دنيوية دون جدوي، وبناء على حكم شيخه سكن في بلدة "باره بنكي" مقيمًا في أحد مساجدها، وقام بنشر الدين قيامًا لائقًا يذكر به ويكتب بأحرف من نور في التاريخ، حيث اهتدى به الآلاف من الضالين، واستفاد به كل من أسرته آخذين البيعة على يديه الشريفة، وصاروا من الأولياء والصالحين.

خلفائه:

كان له أكثر من خمسين خليفة، أشهرهم كما يلي:

الشيخ شاه مشهود صفي المحمدي المعروف بـ" عبد الصمد" قدس سره. (الابن الأكبر)

الشيخ محراب صفى المحمدي المعروف بـ"عبد الشكور" قدس سره (الابن الأوسط)

الشيخ شمشاد صفي المحمدي المعروف بـ"غلام صفي" قدس سره (الابن الأصغر)

سلطان العارفين شاه عارف صفي المحمدي قدس سره (سيد سراوان، ألله أباد)

الشيخ محمد صفي المعروف بـ"سيد عبيد الله القادري البغدادى قدس سره (كولكاتا)

الشيخ ذو الفقار صفي قدس سره (چتاكام، بنجلاديش)

الشيخ موجود صفى المحمدي قدس الله سره(باره بنكي)

وفاته :

توفي الشيخ ٢٢ من جمادى الأولى ١٣٢٤هـ/ ١٤ يوليو ١٩٠٦م ودفن في بَارَهْ بَنْكِي قريبًا من مسجده المسمى بمسجد "قل هو الله شاه". رحمه الله رحمةً واسعةً.

الشيخ الرباني الإمام القدوة عارف صفي المحمدي قدس سره

ولد الشيخ عارف صفي الملقب بسلطان العارفين في قرية تسمى بـ"سيد سراوان" في محافظة ألله آباد سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، كان أبوه الشيخ وارث علي العثماني من أشهر الأثرياء، فترعرع الشيخ ونشأ في بحبوحة العيش ورغده.

ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وكانت أمه من أسرة سيدنا وحبيبنا سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

تعليمه وتربيته:

تعلم الشيخ من شيوخ بيته في صباه، ثم حصل على العلوم العالية من العالم الجليل السيد الشريف أبو ميان و الشيخ الفاضل منظور حسين رحمهما الله في قريته، وحينما تخرَّج لم يتجاوز عمره ست عشرة سنة.

أخلاقه وعاداته:

كان من نعومة أظفاره ذكيا، فطنا، لبيبا، متواضعا، رحيما، قدوة فى الامتثال بأوامر الكبار من الوالدين والأساتذة، مهتما بالفقراء، معتنيا بالمعدمين بالإنفاق والصرف عليهم، كثير الاشفاق والحنان والرحمة على غيره، حتى كان يذاكر الطلاب الذين لايفهمون الدروس جيدًا ويساعدهم في الدروس المعقدة لهم وتفسير المسألة المستعصية عليهم، طلق المحيا جميل الوجه وبشوشا مع كل من الحاسدين والأعداء، وكان فريد عصره، وحيد زمانه فى العلم والمعرفة، والأخلاق العالية، والصفات الممتازة، والأوصاف الكريمة، والأخلاق النبيلة، والأعمال الحسنة.

بيعته وخلافته :

بعد أن انتهي من دراسته المتدوالة أراد أبوه أن يشاركه فى مهنته المأثورة ، فلم تقبلها نفسه، حتى رضي بأن يكون مؤظفا رسميا، ولكن الشوق الرباني الذي قد وضع في قلبه بدأ يتلهب شيئًا

فشيئًا حتى صار في أشد اشتياق إلى المرشد والهادي إلى سبيل الإحسان والتصوف، فحضر مجلس الشيخ العارف بالله الحاج وارث علي شاه قدس سره وطلب منه أن يبايعه، فتريث الشيخ وارث علي غامضا عينه، ثم قال: قريبا يفتح الله عليك أبواب رحمته ويرفع مقامك ودرجتك، ولكن لا على يدي، بل على يد الشيخ عبد الغفور المحمدي فاذهب إليه، فقصد الشيخ عارف صفي إلى الشيخ عبد الغفور المحمدي الصفوي رحمه الله، وكان له مجلس إنشاد صوفي وسماع روحي يعقد ليلة الحادي عشر من كل شهر، فوصل الشيخ عارف صفي إلى زوايته وصلى العشاء خلفه ثم شارك في المجلس الذي استمر إلى صلاة الفجر، وبعد أن فرغ من صلاة الفجر رجع إلى مكانه، ولكن اشتد شوقه، فحضر في مجلسه مرة أخرى وقص عليه قصته وبغيته، فبايعه الشيخ، ومكث في زاويته يقضي أوقاته في خدمة شيخه ويتلقى الأوراد منه، ويعمل بها منقطعا عن كل شيء متوجها إلى ربه الكريم مزكيا نفسه ومطهرا قلبه، حتى بعد مدة وجد العسل بعد العلقم والحلاوة بعد المرارة ونال أمنيته وفاز بمقامات الفقر والتصوف فأعطاه شيخه الإجازة والخلافة في ١١ من رمضان الكريم سنة ١٢٩٨هـ الموافق ٧ أغسطس ١٨٨١م ولقبه بـ"عارف صفي" وهو في العشرين من عمره.

استقامته فى سبيل العبادة:

بناء على حكم شيخه عكف في مسجد المنطقة "أجودهيا" مبتعدًا عن أهله وبيته، حتى اشتاق إليه أهل بيته وأمه الحنون خاصة، وكانت محبة له ولا تقدر أن تصبر على فراقه فجاء جده من أمه مع والدة الشيخ عارف صفي إلى شيخه ومربيه عبد الغفور المحمدي، وعبر عن شدة شوقها إلى ابنه واضطرابها لفلذة كبده، فدعاه من "أجودهيا" آمرًا أن يسكن في وطنه، وأوصاه أن يتخذ زاويته قريبًا من قبر الشيخ السيد الشريف محمد الحقاني رحمه الله بدلًا أن يسكن في بيته، وأمره للذهاب إلى بيته لزيارتها كل يوم مرة، فرجع إلى وطنه ممتثلًا بأمر شيخه وبنى دويرة بجوار قبر السيد الشريف محمد بن علي بن العلاء السبزاواري المعروف بالحقاني (المتوفى في أواخر القرن الثامن) تحت ظل شجرة وظل مستغرقًا في الأذكار والعبادات والأوراد، وكان يذهب إلى بيته للقاء أمه مرة في النهار.

خدماته الدينية:

كان سلطان العارفين من معالم الهداية والنور والمعرفة والأمن والسلام وبذل أقصى مجهوداته لنشر الدين الإسلامي في هذه المنطقة بعد أن أشرقها بنور الإسلام والهداية الشيخ الشريف محمد الحقاني رحمه الله. أسلم على يديه ألوف من الهندوس، واهتدى به كثير من الضالين، وأسَّس سلطانُ العارفين

زوايةً كبيرةً للطالبين والمسترشدين سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م، و في مدة يسيرة قام بأعمال دعوية كبيرة وذاع صيته في البلاد المجاورة والمناطق البعيدة.

مكانته عند شيخه :

لما بايع على يد شيخه كان لا يقوم بشيء إلا بأمره، فكبر شانه وعظم أمره عند شيخه حتى قال عنه شيخه في رسالته: "يده كيدي" ولم يقلها مرة أو مرتين بل قال مرات وكرات، فهذه تدل على أنه كان محبوبا في نظره وعزيزا في عينه، ومرة أخبره شيخه عن سفره إلى "صفي فور" بمناسبة ذكرى شيخه القطب الشيخ خادم صفي المحمدي قدس سره وطلبه إلى "صفي فور" فوصل الشيخ عارف صفي في الموعد، فأخذه شيخه إلى قبر الشيخ خادم صفي قدس الله سره فوقف الشيخ عارف صفي على الباب وذهب شيخه إلى الداخل، وبعد مدة قليلة رجع من الداخل مبشرًا "ما شاء الله! ما شاء الله! لقد لقبك سيدنا وشيخنا بـ"المحبوب الإلهي".

تصانيفه:

له كتب في اللغة الأردوية والفارسية والهندية نظما ونثرا منها:

١-گنجينه أسرار (أي خزينة الأسرار) بالفارسية، ٢- مرآة الأسرار (بالأردوية)، ٣- مثنوي معرفة. ٤- ثلاثة دواوين: ديوان شعره الفارسي، وديوان شعره الأردوية، وديوان شعره الهندية.

خلفائه:

كان له إحدى عشرة من الخلفاء، منهم:

(١) الشيخ شاه صفي الله المحمدي المعروف بـ"شاه نياز أحمد" قدس سره.

(٢) الشيخ ظهور الله المحمدي المعروف بـ"سيد عبد اللطيف" قدس سره.

(٣) الشيخ نعمة الله المحمدي المعروف بـ"سيد محمد أمين البخاري" قدس سره.

(٤) الشيخ عليم الله المحمدي المعروف بـ"عبد العلي" قدس سره.

(٥) الشيخ نعيم الله المحمدي المعروف بـ"الحافظ محي الدين" قدس سره.

أولاده :

كان له ابنان وثلاث بنات

(١) محتسب العارفين الشيخ صفي الله المحمدي رحمه الله.

ولد الشيخ يوم السبت ٢٨ من رمضان سنة ١٣٠٥هـ/ ٩ يوليو ١٨٨٨م ترعرع على يدي أبيه سلطان العارفين، وصار مريدا وخليفة له، ولقّبه الكبار من الأسرة بـ"الأسد الأشد".

وتوفي يوم الجمعة ٢٨ من شعبان سنة ١٣٧٤هـ / ٢٢ أبريل ١٩٥٥هـ

وكانت له بنت وأربعة أبناء، منهم: الشيخ حكيم آفاق أحمد رحمه الله، الشيخ صابر حسين، الشيخ إمتياز أحمد العثماني رحمهم الله ، والشيخ أنيس أحمد العثماني.

(٢) بقية السلف الشيخ أحمد صفي المحمدي المعروف بـ"الشيخ رياض أحمد" قدس سره.

ولد الشيخ رياض أحمد سنة ١٨٩٦م، توفي أبوه وعمره ست سنوات، كان مريدًا لأبيه ولكن وجد الإجازة والخلافة من أخيه الكبير، كان قدوة في الأخلاق والشمائل، شديد التمسك بمسلك الصوفية الصافية لا يحب التزحزح عنه شيئا، وأخذ عنه البيعة شيخنا الإمام العارف الشيخ أبو سعيد إحسان الله المحمدي الصفوي في ١٨ من ذي القعدة سنة ١٣٩٨هـ الموافق ٢١ اكتوبر ١٩٧٨م.

وتوفي يوم الخميس ١٥ من محرم الحرام سنة ١٤٠٠هـ الموافق ٦ ديسمبر سنة ١٩٧٩م.

وفاته :

أصابته الأمراض في آخر حياته واشتدت مع مرور الأيام والليالي، وأخيرًا توفي سلطان العارفين ـ وله اثنان وأربعون من العمر ـ صباحَ يوم الثلاثاء ١٨ من ذي القعدة سنة ١٣٢٠هـ / ١٦ من فبراير ١٩٠٣م.

وكان شيخه قطب العالم عبد الغفور المحمدي كان حيًّا حين وفاته ووقع عليه نبأ وفاته كبرق خاطف فحزن شديدًا وقال: "لقد قصم موته ظهري."

صلى عليه الطبيب العالم الشريف مسيح الدين القادري الإله آبادي رحمه الله، ودفن في "الزواية العارفية " بأله أباد. قدَّس الله روحه، ومرقده يزار ويتبرك به.

****

أمير خسرو الدهلوي

ونبوغه في الآداب العربية

كتبه

الباحث/ محمد ضياء الرحمن العليمي

الأوضاع السياسية والاجتماعية في عصر أمير خسرو

الأوضاع السياسية:

إن العصر الذي عاش فيه خسرو الدهلوي هو عصر المماليك والأتراك وعصر سلطنة دهلي الذي يبتدأ من اعتلاء قطب الدين أيبك على عرش السلطنة التركية في عام ١٢٠٦م، وينتهي بنهاية الأسرة الملكية التغلقية في عام ١٤١٢م، إلا أن الفترة الزمنية التي نرى فيها صاحبنا أمير خسرو يقضي حياة نشيطة مملوءة بالأعمال البلاطية والأعمال العلمية، الأدبية والتاريخية هي من أواخر عصر السلطان غياث الدين بلبن (تولى زمام المملكة في عام ١٢٤٦م) وبقي متوليا لها حتى عام ١٢٨٧م، إلى بداية عصر السلطان محمد بن تغلق (صعد العرش في عام ١٣٢٤م ومات في عام ١٣٥١م.)

وعندما قتل شهاب الدين الغوري وتولى مقاليد الحكم، السلطان محمود بن غياث الدين الغوري أكرم قطب الدين أيبك بخطاب السلطان وأعطاه الأمارة والمملكة فاستولى على العرش في مدينة لا هور، إنه حكم حتى عام ١٢١٠م، ومات لجروح أصابته لأجل سقوطه عن ظهر الفرس عندما كان يلعب الجوغان (Polo)(١) وبعد مماته ارتفع مملوكه وختنه شمس الدين إيلتمش إلى عرش المملكة، وكان سلطانا عادلًا ومسلمًا صادقًا أكرمه الخليفة العباسي المستنصر بالله بخلعة، إنه توفي في عام ١٢٣٦م.(٢) وبعد ذلك ورثت رضية ابنته المملكة من أبيها وحكمت على البلاد منذ عام ١٢٣٣م إلى عام ١٢٣٩م.(٣)

وبعد ذلك انتقل أمر الحكم إلى السلطان غياث الدين بلبن الذي كان مملوكا تركي الأصل للسلطان شمس الدين إيلتمش والذي تزوج بإبنة السلطان ناصر الدين محمود بن السلطان شمس الدين إيلتمش وعمل كنائب له في عهد حكومته ، استولى على العرش في عام ١٢٤٦ الميلادي وبقي مستوليا عليه حتى عام ١٢٨٧م، وحكم على البلاد بكل قوة وحماسة ونفوذ وعدل ومساواة، لم يحاول كثيرًا لتوسيع حدود سلطنته بل بذل اقصى وسعه في نشر الأمن والسلام في

---

(١) Shatish Chandra: Medival India, Page: 47, N.C.E.R.T New Delhi.

(٢) Ashirbadi Lal: The Sultenat Of Delhi نقلا عن سيد صباح الدين عبد الرحمن: عهد وسطى كے ہندوستان كى ايك ايك جهلك، (لمحة عن الهند في العهود المتوسطة) ص: ١٠١، ٢٠٣ ط: دارا المصنفين، آعظم جره.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٤، ١٠٥.

جميع نواحيها وسعى لتدعيمها وإخماد الثورات في عصره، فهو اقوى السلاطين التركيين الذين سبقوه فقد مهد السبيل للسلاطين الخلجيين الذين جاؤوا بعده أن يقوموا بفتوحات كبيرة ويوسعوا حدود السلطنة التركية(١).

وبعد وفاة السلطان غياث الدين بلبن انتقل أمر الحكم إلى كيقباد حفيده الذي استولى على العرش وهو في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره، فلما صعد إلى عرش المملكة أكب نفسه على التمتع بملاذ الحياة وزخارفها وغفل عن واجبات الحكومة وما يتعلق بها ففسد أمر الإدارة والتنظيم وانشغل العمال والقضاة والمحتسبون أيضا في الأعمال الفاسدة فتضعضع بنيان الحكومة وضعفت أركانها، إنه توفي بعد عام ١٢٨٨م(٢) وهكذا ضعفت الحكومة التي دعم أركانها السلطان غياث الدين بلبن كما عمت الفوضى والإضطرابات بعده إلا أن هذه الظاهرة لم تدم طويلا ونجح جلال الدين الخلجي الذي كان يحتل منصب عارض الممالك في عهد السلطان معز الدين كيقباد في أن يصل إلى عرش المملكة في عام ١٢٩٠م وبقي مسيطرا عليها حتى ١٢٩٧م وهكذا اعتلت على العرش الحكومي أسرة تركية أخري تختلف قليلا عن الأسرة التركية التي حكمت على دهلي قبلها.(٣)

إنه حكم على الهند أعواما فقط، وصفه محمد فرشته و كيْ، أيس، لال (K.S.Lal) أنه كان ضعيفًا في سياسته يحكم على الناس مثلما يحكم الوالد في أسرته ولوكان كريم النفس مسلما صالحا، ولذلك انفجرت الثورات والتقلبات في عهده وشاعت الإضطرابات الإجتماعية ، وعمت سيادة قطاع الطريق في جميع أرجائها (٤) إلا أن سيد صباح الدين عبد الرحمن قد كتب عنه أنه كان سلطانا قويا في سياسة المدن، كريم النفس، وأما النماذج التي تدل على ضعفه في السياسة فإنما كانت صادرة عن نجابة طبيعته لا عن ضعفه في السياسة(٥) .

إن علاءالدين الخلجي استوى على العرش بعد أن قتل عمه وصهره عند ما كان يرجع من فتح ديوجري مع الخزائن الباهضة والأموال الطائلة ، وذلك في عام ١٢٩٦م ولم يزل يحكم على

---

(١) Shatish Chandra: Medival India, Page: 49 – 65 N.C.E.R.T. New Delhi.

(٢) محمد قاسم فرشتة: تاريخ فرشتة، ترجمة: عبد الحي خواجه، ج: ١، ص: ٣٠٢ – ٣١٣، ط: غلام علي برنتر، جامعة اشرفية، اچهره، لاهور، غير مؤرخ.

(٣) كے،ايس لال: خلجي خاندان(الأسرة الخلجية)، ترجمة: ياسين مظهر صديقي ص، ١٧ – ٢١ ، ط: ترقى أردو بيورو، نيو دهلي، ١٩٨٣.

(٤) محمد قاسم فرشتة : تاريخ فرشتة، ترجمة: عبد الحي خواجه، ج: ١، ص: ٣٤١ – ٣٢١.

(٥) N.B. Roy: Biography of Jalaluddin Khilji. نقلا عن سيد صباح الدين، عهد وسطى كے ہندوستان كى ايك ايك جهلك ، ص: ١٢٣- ١٢٨.

البلاد الهندية حتى عام ١٣١٦م، وذلك بكل قوة وسطوة وجاه وعنف، أرسل البعثات العسكرية إلى الملتان والبنجال وججرات وجيسلمير ورنثمبهور (Ranthambhor) ومالوه (Malvah) وشيتور (Chittor) وسوانا وجالور، وفتح اكثر بلادها، وهكذا أخضع الهند الشمالية كلها لسلطنته وأرسل عسكره في شمال المغرب إلى "غزني" وفي شمال الشرق إلى اقصى مناطق النيبال، وقد ثار عليه بعض عماله أيضا إلا أنه سوي كل شيء بحسن إدارته وتنظميه، إنه أدار دفة البلاد بكل انتظام ونصب رأية العدل والإنصاف في جميع أصقاعها ولذا يذكره المؤرخون أنه أقوى السلاطين الخلجيين وأنه موسع الدولة التركية (١).

إن السلطان علاء الدين استخدم الأساليب العنفية للسيطرة على البلاد، وهذا الأسلوب ولو كان ناجحا في عصره إلا أنها تمخضت عنه أزمات كثيرة فيما بعد، وحدثت الفوضى والاضطراب في الحكومة بعد وفاته وأجلس الملك كافور ابن السلطان علاؤالدين الذي كان حديث السن آنذاك على عرش المملكة وجعل أبناءه الآخرون محبوسين أو عميا، وبعد أن قتل كافور وصل قطب الدين مبارك شاه الخلجي إلى عرش المملكة عام ١٣١٦م وبعد مقتله وصل خسرو خان الذي كان قد اعتنق الإسلام في صباه إلى كرسي المملكة ولكن ثار عليه جماعة من العمال في ريادة غياث الدين تغلق في عام ١٣٢٠م فانهزم خسرو خان وقتل، وهذا مهد السبيل لغياث الدين تغلق أن يستوي على العرش وهكذا انتقل أمر الحكم إلى أسرةجديدة أخرى.

كان أبوه من مماليك السلطان غياث الدين بلبن ومن أصل تركي وأمه كانت تنتمي إلى أسرة "جات" (Jaat) من بنجاب، إنه حكم على أقطاع الهند من عام ١٣٢١م إلى عام ١٣٢٤م بكل أمن وسلام وبدون ثورات وتقلبات ، وبسط مهار العدل والإنصاف في المجتمع ولم يزل يسعى طول مدة حكمه على الهند للخير والسعادة نحو الجمهور (٢).

تولى مقاليد الحكم السلطان محمد شاه تغلق بعد وفاة أبيه في عام ١٣٢٤م وبقي مسيطرًا على الهند حتى عام ١٣٥١م، قضى حياته في إخماد الثورات وتوسيع حدود سلطنته ونشر الأمن والسلام في البلاد، زار الرحالة الشهير ابن بطوطة الهند في عهده ولقي السلطان فأكرمه بمنصب القضاء وكتب قصيدة في مدحه وذكر في رحلته الشهيرة أنه كان جوادا، شجاعا، شديدا في العدل

(١) كے، ايس، لال: خلجي خاندان، ترجمة: ياسين مظهر صديقي ص.٧٤ – ١٤٩.
(٢) بسو جان رائے: خلاصة التواريخ: نقلا عن سيد صباح الدين عهد وسطى كے ہندوستان كى ايك ايك جهلك ،ص ١٩٨ – ٢٠١.

والإنصاف ومتقيدا بالشريعة الإسلامية إلا أن ما ذكره البرني في تاريخه يشير إلى أن السلطان كان يقتل المسلمين بدون ذنب ولكن يبدو أن ما ذكره إبن بطوطة أقرب إلى الصواب، فإن الروايات الأخري تؤيده أيضا(١)، وبعد وفاته تسلم لجام الحكومة إبنه فيروز شاه تغلق وحكم على الهند من عام ١٣٥١هـ إلى عام ١٣٨٨ هـ، وكان سلطانا عادلا، كريم النفس، محمود السيرة السريرة، حاول أن يلغي العقوبات الشديدة ويعمل لخير ورفاهية الجمهور ولكن بعد وفاته أصيبت السلطنة المملوكية الدهلوية بالانهيار والانحلال وانقسمت في دول صغيرة تجادل بعضها ببعض وأدى ذلك إلى أن غابت الدولة المملوكية عن صفحة الأرض في عام ١٣١٢م.

هذا تاريخ موجز لعصر المماليك والأتراك نستطيع من خلاله أن ندرس هذا العصر، وإذا درسنا هذا العصر وجدنا أن عصر المماليك والأتراك منقسم إلي عصرين: ١- عصر المماليك والأتراك الأول: ٢- عصر المماليك والأتراك الثاني، العصر الأول يبتدأ من استيلاء قطب الدين أيبك على العرش في عام ١٢٠٦ م وينتهي قبل وصول جلال الدين الخلجي إلى العرش في عام ١٢٩٠م وأما العصر الثاني فهو يبتدأ من السلطان جلال الدين الخلجي وينتهي بموت السلطان فيروز شاه تغلق في عام ١٣٨٨م.

إن العصر الأول هو عصر الاضطرابات والثورات الداخلية، وهو عبارة عن مكافحة السلاطين لتدعيم مناطق السلطنة الدهلوية ومواجهتهم الغزوات الخارجية، فكان في ذلك الزمان عديد من العمال المسلمين الذين ثاروا على الحكومة المركزية وكذلك ثار الملوك الهندوس الذين ما رسوا السلطنة منذ قرون مثل ملوك راجفوت وأصحاب الإقطاعات وحاولوا لأن يخرجوا السلاطين التركيين من أراضيهم، والسلطنة لو كانت مدعمة الأركان في عصر السلطان غياث الدين بلبن إلا أن الأوضاع قد تغيرت بعد وفاته، وإنه كذلك صرف جل همومه في تدعيم بنيانها لا في توسيع مناطقها، فلا نستطيع أن نسمي عصره عصر انتشار الدولة، على عكس ما نرى أن السلطان جلال الدين الخلجي يرسل العسكر ويحاول لفتح مناطق راجستهان الشرقية والمناطق المجاورة لها، ونلاحظ أن السلطان علاء الدين الخلجي فتح هذه البلاد كلها والبلاد الأخرى في أقصى الهند من أمثال ججرات ومالوه عن طريق مناطق راجستهان، إنه لفت اهتمامه أولا إلى منطقة رنثمبهور (Ranthombhor) التي كان يحكم عليها خلفاء برثوي راج وفتح قلعتها وبعد ذلك وجه نفسه إلى شيتور(Chittor) وفتح قلعتها أيضا في عام ١٣٠٣م وكذلك غزا بلاد جالور(Jalor) وفتحها.

---

(١) Ishvari Parsad: history of the Truks نقلا عن سيد صباح الدين عهد وسطى كے ہندوستان كى ايك جهلك ،ص ٢١٠ – ٢١٨.

إنه لم ينته باخضاع مناطق راجستهان وججرات بل أراد في عام ١٣٠٦م أن يقوم بحملة عسكرية ضد حاكم ديوجري (Deogari) رائى راما شندرا وأرسل الملك كافور لفتح تلك البلاد ففتحها، وبعد ذلك بين عام ١٣٠٩م ١٣١١م أمر لأن يقام بحملة في الهند الجنوبية وكانت هذه حملة عسكرية أولى ضد وارنجل (Warangal) في مناطق تلنجانه (Tilangana) وقام الملك كافور بحملة أخرى ضد "داور سمودرا" (Dawarsamudra) "وماباد" ولاية كرناتكا الحالية وضد ما دورائي (Madurai) ولاية تامل نادو الحالية، ونجح في أن يخضع هذه المناطق كلها لسلطنة دهلي ، الاضطرابات ولو وجدت بعد وفاة السلطان علاء الدين الخلجي، ولكن المملكة الجنوبية انهارت بنفسها وجاءت تحت حكم دهلي بلا واسطة، وكذلك نرى الحملات العسكرية في عهد مبارك شاه الخلجي وبقيت هذه المناطق كلها تحت الحكم المملوكي حتى عام ١٣١٤م وانتشرت حدود السلطنة إلى مناطق أريسا (Orissa) (١).

إن هذه الفتوحات كلها تبرهن على أن عصر المماليك والأتراك الثاني هو عصر الرقي والازدهار والإنتشار ولوكان عصر المماليك الأول عصر الرفاهية والسعادة والهناء.

الأوضاع الإجتماعية:

إن الحكومات والسلطات تعد ناجحة إذا كانت الأوضاع الإجتماعية فيها حسنة وعاش الناس في ظلالها حياة رغيدة، فاذا درسنا الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في عهد أمير خسرو وجدنا أن الحياة بالجملة كانت راضية والناس كانوا يقضون حياتهم هنيئا مريئا.

إن الحياة في عصر المماليك والأتراك مثل الأزمان الأخرى منقسمة إلى قسمين:

١ –الحياة المدنية.

٢ – الحياة الريفية، ونحن نستطيع أن نقول أيضا إن المناطق منقسمة إلى المدن والقرى، أما المدينة فكانت تحتوي على طبقات من الناس:

١ – الطبقة الحاكمة وطبقة الأمراء والشرفاء.

٢ –طبقة التجار وأهل الصناعة.

٣ – طبقة الأدباء والعلماء.

٤ – طبقة المماليك.

---

(١) Shatish Chandra: Medival India,Page: 53 – 63, N.C.E.R.T Mew Delhi.

٥- طبقة الصوفية والمشايخ. وأما القرى فكانت تشتمل على طبقة .

العاملين والفلاحين، أما الطبقة الحاكمة وطبعة الأمراء فكانت تتمتع بأرفع مستوى الحياة وكانت تتظاهر بالثروة والجاه وتتسابق فيما بينهما، كانت لها مباني عالية وقصور شامخة تلقى الرعب في قلوب القادمين إلى بلاطها.

وصف إبن بطوطة قصر السلطان محمد بن تغلق بأنه كل من يريد أن يلتقي بالسلطان يجتاز ثلاثة أبواب شامخة ثم يدخل البلاط الذي هو عبارة عن قاعة كبيرة تشتمل على ألف عماد خشبي مرصع بأغلى أنواع مواد الزينة والتزخرف، إنه كان يمنح كل احد من أمرائه خلعة في فصل الشتاء وخلعة أخرى في فصل الصيف، وقدر المؤرخون أنه كان يهب مأتي ألف خلعة كل عام، وهذه الثياب كانت أغلى نوع من الثياب النفيسة الموجودة في ذلك الزمان (١).

أما طبقة التجار وأهل الصناعة فكانت أيضا تعيش حياة راضية باهية فقد كانت التجارة الخارجية والداخلية مزدهرة وكانت مدينة دهلي ولاهور وملتان وكرا ولكهنوتي وأنهل وارا (Patan) وكهمبايت من كبار مراكز الصنعة والتجارة، وكانت مناطق بنجال وججرات شهيرة بالثياب النفيسة وكانت كامبي (Cambay) في ججرات شهيرة بأعمال النسيج والذهب والفضة، وكذلك كانت سنار جاؤن (Sunargaon) مشتهرة لثياب الأبريشم وغيرها، وكانت مصانع الأعمال اليدوية عامة في مختلف أرجاء الهند وكان أهل الهند شهيرين بأعمالهم اليدوية في خارج الهند أيضا وذكر المؤرخون أن التجار كانو ينادمون الغلمان الذين كانوا يحملون السيوف المنقشة بالذهب والفضة، وذكر البرني في تاريخه أن الذهب والفضة كانت توجد في البيوت مطروحة بدون مبالاة (٢).

وأما طبقة الأدباء والعلماء فكانت تعيش حياة ناعمة لما كانت تترعرع تحت رعاية السلاطين والأمراء فانهم كانوا باجمعهم مولعين بالعلم، محبين للأدب ، وكانوا يمنحون العلماء والأدبا، الإقطاعات والمنحات العلمية والهدايا الكريمة والأموال الهائلة ولذلك أصبحت مدينة دهلي ولا هور ولمتان مراكز أولي العلم والأدب في ذلك العصر(٣).

---

(١) المصدر السابق : ص:٨٠- ٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٩ – ٨٠.

(٣) Nerender Nath: Promotion of Mohamdan Learning in India نقلا عن سيد صباح الدين عهد وسطى كے ہندوستان كى ايك ايك جهلك ،ص ٤٦٨ – ٥٠٦.

وأما طبقة المماليك فكانت في سعادة الروح وراحة الفؤاد وكانت تتمتع بجميع نعيم الحياة وكان المماليك يتزوجون ببنات سيدهم بعد عتقهم، وعصر المماليك كله شاهد على أن المماليك كانوا يعيشون حياة راضية مكرمة، وربما كانوا يرتفعون إلى عرش المملكة أو المناصب الرفيعة، فتولى قطب الدين العرش بعد وفاة سيده ووصل غياث الدين بلبن إلى العرش بعد وفاة إبن سيده شمس الدين إيلتمش (١).

وأما طبقة العاملين والفلاحين فكانت بالحياة راضية مطئنة، إنها كانت تجهد في الحقول والمزارع ولكن كانت تركب الفروس وتلبس الثياب النفيسة، وإنما كانت الإنتاجات الزراعية المحلية عماد الإقتصاد وركن الحياة، كانت الأطعمة رخيصة جدا، فكان بإمكان أحد أن يشتري خمسة عشر كيلوجراما من القمح بسبع ونصف جيتل وكان خمسون جيتلا يساوي الواحد من تنكا، وقدر المؤرخون الجدد أن في عهد السلطان فيروز شاه تغلق كان بإمكان عائلة تشتمل على رجل وزوجة وإبنين وخادم أن تعيش على راتب خمسة تنكا شهريا ولذا نحن نستطيع أن نقول أن حياة العاملين والفلاحين أيضًا كانت سهلة وسعيدة (٢).

وأما الصوفية الذين كانوا دائما منشغلين في ذكر الله والدعوة إليه وفي إصلاح الاجتماع وخدمة الخلق بغض النظر عن طبقة الرجل ومذهبه، فكان جميع طبقات من الناس يحضرون مجالسهم ويطلبون منهم الدعاء، إنهم كانوا زاهدين عن الحياة الفانية غير مبالين بنعيمها وغير متقاعدين عن واجباتهم الدينية والإجتماعية وكانت دوائرهم مملوءة بأنفس أنواع النعم والهداياوالأموال وكانوا ينفقونها كلها على الفقراء والبائسين وكانوا يتجنبون عن مجالس الملوك وصحبة الأمراء إلا أن الله تعالى جعل لهم الألفة والوداد في قلوب السلاطين فكانوا يأتون إلى دوائرهم حفاة، عراة، طالبين منه الدعاء والخيرات الروحية، ومن أبرزهم السلطان شمس الدين إيلتمش الذي كان قد بايع على يد الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي وكان دائبا على الحضور في مجالسه وكذلك كان السلطان غياث الدين بلبن محبًا للصوفية (٣).

ومن أبرز هؤلاء الصوفية الشيخ معين الدين الجشتي الأجميري (٦٣٣هـ) والشيخ قطب الدين بختيار الكعكي (٦٣٥هـ) والشيخ فريد الدين الشافعي الجشتي (٦٦٦هـ) والشيخ نظام الدين البدايوني الشهير بسلطان الأولياء (٧٢٥هـ)، رحمهم الله جميعا.

---

(١) حاشية عهد وسطى كے ہندوستان كى ايك ايك جهلك ،ص٢١٠ – ٢١٨.
(٢) Shatish Chandra: Medival India, Page: 78 – 82 N.C.E.R.T New Delhi.
(٣) سيد صباح الدين عبد الرحمن: بزم مملوكية، ص: ٨ و ٢٢٣.

أما الثقافة الهندية في عصر المماليك والأتراك فكانت بالجملة ثقافة ممزوجة بالثقافة الفارسية والتركية والهندية، فان السلاطين كلهم كانوا من سلالة تركية وردوا الهند وتوطنوها، فوقع الاحتكاك الحضاري والثقافي الذي تمخضت عنه ثقافة لا فارسية ولا تركية ولا هندية بحتة بل أخذت كل ثقافة نصيبها من الثقافة الأخرى.

ملخص القول أن حياة جميع طبقات الناس بالجملة هادئة متماسكة بعضها ببعض، ولو واجهت بعض الصعوبات في بعض الحالات لأجل النكبات الطبعية أو السياسية المتأنية، اللهم أن يقال أن حياة الملوك والسلاطين والأمراء والشرفاء والتجار كانت تختلف قليلا عن حياة العاملين والفلاحين ولوكانت كل من هذه الطبقات راضية سعيدة بما قدرلهم الله.

حياة أمير خسرو

أنجبت أرض الهند كثيرا من الرجال البارزين العبقرين الذين لا يجود بهم الزمان إلا ما بين فينة وأخرى، إنهم خلفوا لنا آثارا خلدت ذكراهم على كر الدهور ومر العصور، ومن بين هؤلاء العباقرة أمير خسرو الدهلوي.

أسرته:

كان الاسم التركي لأبيه "لاجين" وكان هذا الإسم رائجا بين الأتراك ويوجد عديد من الأتراك الموسومين بهذ الاسم، معناه في الأصل البار الأبيض ولكن يطلق على الرجل الشجاع مجازًا أيضًا، وورد في القاموس التركي "لغت جغتائي" و "تركي عثماني" أن كانت من بين القبائل التركية قبيلة بإسم لاجين أيضًا وكان هذا الإسم يستخدم كالعلم بدون تردد، فقد كانت القبائل تسمى بأسماء سيدها (١)، وقد ذكر أمير خسرو نفسه أن إسم أبيه كان لاجين، يقول أمير خسرو وهو يذكر لقاءه بالخواجة عز الدين: "پرسيد چه نامی؟ گفتم: خسرو، نام پدر پرسيد، گفتم: لاچين" أي سأل الخواجة ما اسمك؟ فقلت: "خسرو" وسأل عن اسم أبي فقلت "لاجين"(٢)، وقال في موضع آخر: "أما بعد فان مرقوقك القديم خسرو بن لاجين يعرف بالنديم" (٣).

واشتهر أبوه باسم سيف الدين شمسي وكان من أصل تركي من منطقة "ولايت بالا" وهي تطلق على مناطق ختأوختن أو على المناطق من ماوراء النهر إلى صحراء "قيچاق" إنه كان مملوكا للسلطان شمس الدين إيلتمش، ابتاعه السلطان بالدرهم السلطاني من أحد التاجرين ويظهر ذلك مما قال خسرو بعد ذكر اسم أبيه للخواجة عز الدين:

"گفت ترك خطا است، گفتم: نے خطا وترك است گفت: درم خريدهٔ ناصری است، گفتم: سلطانی شمسی" (٤)

أي سئل الخواجة هل أبوه من أصل الترك الخطائي فأجاب أمير خسرو أنه ليس من أصل الترك الخطائي؟ ولكنه من الأتراك، فسئل الخواجة هل ابتاعه السلطان ناصر الدين محمود بالدرهم ؟ فقال:

---

(١) شيخ سليمان آفندي، إستنبول، نقلا عن ممتاز حسين: أمير خسرو دهلوي، ص: ١٣٧، ط نيشنل بك فاؤنديشن، الباكستان.
(٢) ديباجة تحفة الصغر، ص: ٩ ، ط منشي نول كشور ، لكناؤ.
(٣) إعجاز خسروي، الرسالة الثانية، ص: ١٨٠، ط منشي نول كشور، لكناؤ ١٨٧٦.
(٤) المصدر السابق، ص:٩

بل ابتاعه السلطان شمس الدين إيلتمش بالدرهم السلطاني.

وقد ورد في ''طبقات ناصري'' الإنكليزية في ترجمة تمر خان قمر الدين قران بيك ما يثبت أن الدرهم السلطاني كان رائجا في عهد السلطان شمس الدين إيلتمش ونصه كما يلي:

The sultan (Eltimish) at the out set of his (Tamr Khan) career parchased him from Asaduddin Mankli, the brother' son of malik Feroz for sum of fifty thousand sultani Dirams"

[إن السلطان إيلتمش ابتاع تمر خان في أفول أيامه من أسد الدين منكلي إبن أخ الملك فيروز بخمسين ألفا من درهم سلطاني](١).

أرسل السلطان إيلتمش والد صاحبنا أمير خسرو للحملات العسكرية لما كان رجلا شجاعا مغامرا في ميدان القتال ومتحليا بالفنون الحربية والعسكرية فأبلي بلاء حسنا وقام بإنجازات عسكرية وفتوحات كبيرة دعم بها السلطنة لمولاه فاعطاه السلطان الأمارة وكان يحتل منصب المقطع في منطقة "كرا" (Kara) مانك فور، وكان يحتل منصبا كبيرا في عهد السلطان ناصر الدين محمود إبن سيده، وكان رجلا مشهودا له بالصلاح والتقوى، مات في عهده وهو يقاتل في ميدان الحرب عام ٦٥٩هـ، أنجب له بنون وبنات عديدة من أصغرهم حسام الدين قتلغ الذي مات في عام ٦٩٨هـ(٢).

وكانت أم أمير خسرو هندية وكان جده من أمه من أسرة راجفوتية وكان سيدا لقومه ولكنه أصبح مملوكا للسلطان شمس الدين إيلتمش، عمل على منصب "عرض شكره" كأمير للصيد(٣) ، ولما فتح السلطان قلعه رنثمبور (Ranthombhor) في عام ٦٢٩هـ جعله حارسًا لها ولم يزل يحتل منصب "عارض ممالك" بدهلي في عهد خلفائه حتى وفاته في عام ٦٧١هـ (٤) وكان رجلًا سخيًا جوادًا يأكل على مائدته مآت من الناس كل يوم وكان يكثر استخدام التنبول وكان صاحب لواء يسير تحت لوائه مأتان من المماليك الأتراك وألف من المماليك الهنديين وعشرة آلاف من المقاتلين الراكبين، وكان منزله ذا ثلاثة أطباق متصلا بقلعة "دهلي دروازه" قرب جسر منده، وكان رجلا متدينا قد تبرع بقرى عديدة لخدمة الخلق (٥).

---

(١) الميجرراورتى، ص: ٧٤٢ نقلا عن ممتاز حسين: أمير خسرو دهلوي، ص: ٣١.
(٢) ممتازحسين: أمير خسرو دهلوي، ص: ١٤١ – ١٤٢.
(٣) ضياء الدين برني: تاريخ فيروز شاهي، نقلا عن ممتاز حسين: أمير خسرو دهلوي، ص:١٣٣.
(٤) العصامي: فتوح السلاطين، نقلا عن ممتاز حسين: أمير خسرو دهلوي، ص: ١٣٣.
(٥) ممتاز حسين: أمير خسرو دهلوي، ص: ١٣٥.

مولده:

وفي هذه الأسرة الكريمة ولد أمير خسرو في عام ٦٥١هـ المصادف ١٢٥٣م بدهلي أو بتيالي واشتهر الثاني على السنة الخاصة والعامة من الناس منذ قرون وأجيال وأول من ذهب إلى أن مولده كان بتيالي الشيخ حامد فضل الله جمالي مؤلف كتاب سير العارفين وقد نحا نحوه جميع من جاءوا بعده سوى عديد من المؤرخين ومنهم ممتاز حسين مؤلف كتاب "أمير خسرو دهلي" وظ. أنصاري مؤلف كتاب "أمير خسرو كاذهني سفر" والأول منهما قد درس دراسة نقدية دلائل من ذهبوا إلى مولده كان بتيالي و أتى بدلائل قوية على أنه نبغ من تربة دهلى لا من بتيالي، وأنا أيضًا أرى في هذا الأمر الرأي الأول فإن ما يظهر من كتابات خسرو يؤيد أن مولده كان دهلي، يقول في المثنوي "قران السعدين" وهو يذكر نزوله بمنطقة أوده ومفارقته عن امه:

در اوده هم برد لطفی چناں　　کیست که از لطفی بتاں بتابد عناں
غربت از احسانش چنانم گزشت　　کم وطن اصل فراموش گزشت
در اوده از بکشش اوتا دو سال　　هیچ غم و ناله نبود از مثال
من زپئی شرم خدا و ند خویش　　رفته زجائی خود پیوند خویش
مادر من پیرزن سبحه سنج　　مانده به دهلی زفراقم برنج(١)

يتجلى من هذه الأبيات شيئان: الأول أنه رحل إلى دهلي ليزور أمه والثاني أن مولده كان دهلي ولو كان الأمر على عكس ذلك لم يجعل دهلي موطنه الأصلي.

ويقول في قصيدة للمديح النبوي:

زهی سی وده ساله شد در ثنایت　　نگفتست از در یکی ایں ثنارا
نجات از درت جویم و جا این است　　ازیں کو جائیست دیگر بمارا
چو سلطانی آمد گدائی در تو　　تا سلطانی از در مراں ایں گدارا
اگر چه سفالست از خاك دهلی　　بروکار ریحان لطف و رضارا(٢)

ويقول في قصيدة اخرى:

من که در گلزار معنی نو نوائی میزنم　　باغ جاں را از نفس باد صبائی میزنم

(١)قران السعدين، ص:٢٢١ ، ط علي جره.
(٢) ديوان وسط الحياة، ص:٧٠ ، ط كتب خانه نظامية، دهلي.

خسروم بر بادشاهان سخن فرمان روا　　تخت بر فرق هر فرمان روائی میزنم
جائے من دهلی که هر حرفم سواد اعظم　　طبل دار الملك اندر وروشنائی میزنم(١)

ففي القصيدة الأولى يقر بأنه من تربة دهلي وفي القصيدة الثانية يعترف أن موطنه دهلي ولوكانت بتيالي موطنه لقال إنه من تربة بتيالي أو إن موطنه بتيالي ولكن لم يذكر خسرو ذلك في أي مؤلف من مؤلفاته بل ذمها في مثنوي له(٢) ، وذلك مع أننا نلاحظ أنه يمدح دهلي ويذكرها كموطنه مرارا وتكرارا ولو كانت بتيالي موطنا له في الواقع لذكرها أو أشاد بمدحها، فمن البعيد منه أن يمدح دهلي ويذكرها كموطنه وينسى موطنه الأصلي نسيا منسيا.

وكتب عباس إقبال في كتابه "تاريخ مغول إيران" :"خسروپسرش(پسر سيف الدين) درسال ٦٥١هـ در دهلي تولد يافته أست"أي إن خسرو بن سيف الدين قد ولد بدهلي في عام ٦٥١هـ] (٣)

وهناك دلائل أخرى نغض البصر عنها لما يضيق نطاق المقال عن الكلام عنها بالتفصيل والإسهاب.

تعليمه:

عند ما ولد أمير خسرو ذهب به أبوه إلى رجل صالح فلم ينظره له من بعيد حتى صرخ ياتيني ولد أرفع مكانة من الخاقاني(٤) وهذا إن دل على شيء دل على أنه انكشف ماكان قدا ودع الله فيه من مواهب علمية وأدبية وما سينال في حياته من صيت أدبي وشعري، فلما بلغ الرشد أرسله أبوه إلى كتاب ليدرس الكتب البدائية واختار مولانا سعد الدين ليمرنه على فن الخط ولكنه لم يتوجه بقلبه إليه فكان مولعا بالشعر ولم يزل يحاول أن يقرض الشعر، ومرة ذهب خسرو مع أستاذه في فن الخط إلى منزل الخواجه أصيل الذي كان نائبا لحارس البلد، وكان في منزله الشيخ الخواجه عز الدين موجودا فذكر أستاذه ولوعه بالشعر وطلب منه أن يمتحن قريحته الشعرية فأعطاه الخواجه كراسة الشعر وطلب منه أن يقرأ منها فقرأ قراءة صحيحة بنغمة وتلحين حتى طرب الناس لقراءته وأثنوا عليه ثناء عطرا ثم ذكر له الخواجه أسماء اربعة أشياء متفرقة وطلب منه أن ياتي ببيت يحتوي على هذه الألفاظ فارتجل الكلام وأتى ببيتين يشتملان على هذه الألفاظ فدهش الخواجه وسأل عن إسمه

(١) المصدرنفسه،ص:٧٩ – ٧٢.
(٢) ينظر: ممتاز حسين: أمير خسرو دهلوي، ص: ١٢٩ – ١٣٠.
(٣) المصدرنفسه،ص:١٣٢.
(٤) أمير خورد: سير الأولياء نقلا عن: العلامة شبلي النعماني : شعر العجم، ج: ٢، ص: ٧٤.

وإسم أبيه وأشار عليه أن يختار "سلطاني" كرمز شعري، فيوجد هذا الإسم في أكثر قصائده في ديوان تحفة الصغر(١)، وكتب بنفسه في ديباجة غرة الكمال أنه بدأ يقول الشعر وهو في نعومة أظفاره (٢).

مات أبوه وهو إبن ثمانية أعوام، ونشأنشأة طيبة صالحة وتربي على العلوم والفنون والآداب وتحلى بمكارم الصفات، والمعاني الفاضلة والشيم الجميلة تحت رعاية جده من الأم عماد الملك راوت، فكان بيته بيت علم وفضل وأدب يجمع فيه العلماء والأدباء والشعراء وأصحاب الفنون، وأما تفاصيل حياته الدراسية للعلوم الإسلامية والأدبية وأساتذته فلا يوجد إلا قليلا، ولكن يتبين على كل من يطالع مؤلفاته أنه تخرج في العلوم الإسلامية والآداب العربية والعلوم المتداولة. (٣)

علاقاته مع السلاطين والأمراء:

كان صاحبنا متحررًا عن هموم الحياة وكان يعيش حياة راضية سعيدة تحت رعاية جده من الأم ولكنه رحل إلى جوار رحمة الله تعالى في عهد السلطان غياث الدين بلبن في عام ٦٨٢ هـ أو ١٦٧٣ / ١٢٧٣م تقريبا، فاضطر صاحبنا أن يتوجه إلى الحصول على أسباب المعيشة وكان قد اشتهر بقصائده في بلاط أبناء السلطان وأمرائه فتعلق أولا ببلاط السلطان غياث الدين بلبن الموسوم باختيار الدين كشلي خان المعروف بملك ششو (Chhachhu) ولم يزل يمدحه إلى أن بدأت الوحشة بينهما لأجل حادثة يطول ذكره فاتصل بابن السلطان غياث الدين بلبن الموسوم بناصر الدين بغراخان حاكم "سامانا" في عام ٦٧٥ هـ تقريبا ولم يزل يتدرج في المناصب حتى أصبح نديما خاصا له وقال عدة قصائد في مدحه عرفا نا بالجميل، وعندما رحل بغرا خان إلى لكهنوتي مع أبيه لحملة عسكرية ضد طغرل خان الذي كان قد ثار على السلطنة المركزية فذهب إلى لكهنوتي معه ولم يرض بتلك المنطقة فرجع إلى دهلي مع السلطان غياث الدين بلبن(٤) وقامت علاقته مع إبن السلطان محمد قآن وأراد إبن السلطان أن يصحبه إلى ملتان فرضي ووصل إلى ملتان وقضى خمسة أعوام معه فرحا مسرورا ولكن قتل إبن السلطان محمد في عام ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٣م في حرب مع التتار وهو في صلاة الظهر وقتل وحبس عدد كبير من عسكره وكان من بين المحبوسين أمير خسرو أيضا

---

(١) ينظر : ديوان تحفة الصغر.
(٢) ديباجة غرة الكمال، تحقيق: سيد على حيدر، ص: ٩٩ ، ط: إدارة تحقيقات عربي وفارسي، بتنا، بهار ١٩٧٧.
(٣) سيد على حيدر: مقدمة ديباجة غرة الكمال، ط، إدارة تحقيقات عربي وفارسي، بتنا، بهار ١٩٨٨، وسيد صباح الدين عبد الرحمن، بزم مملوكية ، ص: ١٩٢ ، ط: معارف اعظم جره.
(٤) ممتاز حسين: أمير خسرو دهلوي، ص:١٥٨ – ١٦٤.

فكابد المصائب والمشاق طول هذه المدة وعندما أطلق عليه سراحه توجه إلى دهلي بدون أن يعرج على شيء ووقع بين قدمي أمه الحنونة (١)، وأثناء ذلك ذهب لمدة إلى بتيالي ليلتقي بعشيرة أمه وتوفي السلطان غياث الدين بلبن وهو في بتيالي، ونال العرش السلطان معز الدين كيقباد فدعاه إلى بلاطه ولكن أمير خسرو لم يتعلق ببلاطه لما كان في قلب نائبه الملك نظام الدين حقد وعداوة نحوه فاتصل بخان جهان الذي كان من الأمراء، ولما نال خان جهان أمارة أوده ذهب به إليها وقضى بها سنتين وعند ما كثرت اليه المكاتيب من قبل أمه التي كانت تشتاق إلى لقائه فارق اميره ونعيمه ووصل إلى دهلي وألقى نفسه في ذ راعيها(٢).

ولما تولى كيقباد العرش انغمس في الشهوات فتضعضع بنيان الحكومة وكان أبوه بغرا خان يحكم على البنجال فتوجه نحو إبنه ليتزوده بالنصائح لعله يجد ما يجديه نفعا ولما اطلع كيقباد أن اباه قد رحل نحوه خرج ليقاتله ولكن انتهى الأمر بالصلح والتقيا بعد تبادل الرسالات(٣)، وعندما تولى مقاليد الحكم بدهلي السلطان جلال الدين الخلجي جعله من ندماه وأعطاه منصب "مصحفدار" ومنحه الخلعة التي توهب للأمراء مع الحزام الأبيض وأجزل عليه الإنعام والإحسان(٤) ثم التحق ببلاط السلطان علاء الدين الخلجي ووكتب له "ساقي نامه" وغيره ونال العطايا الجزيله وعندما استولى على عرش المملكة السلطان غياث الدين تغلق في عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م تغلق ببلاطه ولم يزل يمدحه ويمدحه الأمراء الآخرين ويتمتع بنعمائهم حتى توفي السلطان غياث الدين تغلق وامتلك العرش السلطان محمد تغلق فمدحه أيضا حتى رحل إلى جوار رحمة الله، وهكذا قضى حياة ترجح كفتها تارة إلى الدنيا وزخارفها وإلى السلوك والتصوف تارة أخرى.

صلاته مع الشيخ نظام الدين الدهلوي:

كان من حسن حظ أمير خسرو أنه عندما فتح عينيه في هذا العالم ذهب به أبوه إلى رجل صالح ليزوره ويستنير من فيوضاته وبركاته، وشب على حب سلطان المشايخ الشيخ نظام الدين فكأنه اختار لنفسه مركزين: مركز لأ سباب الحياة وهو بلاط السلاطين والأمراء، ومركز روحانيا وهو دائرة الشيخ نظام الدين فتعلق بأذياله ولم يزل يروي غليله الروحاني ويمتع شيخه بشعره الصوفي المتدفق بالحب

(١) المصدر نفسه،ص: ١٨١.
(٢) شبلي النعماني: شعر العجم، ج: ٢، ص:٧٨–٧٩ دار المصنفين، شبلي أكادمي، أعظم جره، ٢٠٠٤م.
(٣) المصدر نفسه،ص: ١٩٢ – ١٩٣.
(٤) المصدر نفسه،ص: ١٩٥.

الخالص والإخلاص لله ويجلب ثناءه لنفسه ولم يزالا يتبادلان الحب الصافي حتى توفي الشيخ في ١٨/ من شهر ربيع الآخر عام ٧٢٥ه المصادف ٣/ من شهر أبريل عام ١٣٢٥م. (١)

بايع على يديه في عام ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢م ولم يزل مشغوفا قلبه بحبه ومستنيرا بجماله مدة حياته، إنه حاول طوال حياته أن يقضي حياة نقية من تلوثات الدنيا فنرى من خلال أبياته وقصائده أنه يلوم نفسه على مدحه للأمراء والسلاطين(٢). لا نستطيع أن نتعرف بمكانته في السلوك إلى الله والإحسان والتصوف إلا أن النسمات التي تهب من شعره نسمات من الحب الالهي المعطار وأن النفحات التي يفوح بها شعره نفحات من قلب محترق في حب النبي الجميل عليه الصلاة والسلام.

أولاده:

لا نعرف عن زواج أمير خسرو وإسم زوجته ولكن ذكر الدكتور وحيد مرزا إمكان أنه كان قد تزوج قبل مقتل إبن السلطان محمد قآن(٣) وكان له بنون وبنات أيضا ومن أبناءه ملك احمد الذي كان شاعرا ونديما في بلاط السلطان فيروز شاه تغلق وكذلك نجد ذكر إبنته في "ليلى مجنون" (٤) .

في ذمة الله:

عندما رحل السلطان غياث الدين تغلق إلى البنجال لحملة عسكرية ذهب معه أمير خسرو أيضا ولكن في ذلك الحين انتقل الشيخ نظام الدين إلى جوار رحمة الله فأنفق جميع ماكان لديه من الأموال على الفقراء والمساكين إهداء إلى روحه وعاد إلى دهلي وحضر قبره وتوجه إليه وانقطع عن الدينا بالجملة حتى دعاه الله إلى جواره فلبى نداء ربه والتحق بالرفيق الأعلى في عام ٧٢٥ه المصادف ١٣٢٥م.

---

(١) أمير خورد: سير الأولياء، الترجمة الأردوية: إعجاز الحق قدوسي، ص: ٤٥٤، ط: مركزي أردو بورد، لاهور، ١٩٨٠م.

(٢) خاتمة ليلى مجنون، ص: ٦٤، ط: منشي نول كشور، ١٨٨٠م.

(٣) Waheed Mirza: Life & Works of Amir Khusro, P.: 51 Calcutta, 1935

(٤) شبلي النعماني : شعر العجم، ج: ٢، ص: ٨٤ – ٨٥.

أعمال أمير خسرو

ذكر العلامة شبلي النعماني أن لم يلد الزمان بمثله في الهند منذ قرون ولم ينبغ مثله من تربة الإيران والروم إلا القلائل(١)، فقد أنجب الزمان عديدا من أولي الفضل والكمال الذين فازوا بالقدح المعلى ولكن في مجال واحد لا في مجالات مختلفة، وأما صاحبنا فقد سبق في جميع الفنون الشعرية نحو الغزل، والمثنوي، والقصيدة، والرباعي، والفروع الأخرى مثل التضمين والمستزاد والمحسنات المعنوية والموسيقى، وأما إذا اعتبرنا عدد الأبيات معيار العبقرية فهو عبقري في هذا الأمر أيضًا فيربو عددا أبياته على ثلاث مائة ألف مع أن أبيات الشاعر الشهير فردوسي لاتزيد من سبعين ألفا، وذلك كله إلى جانب تضلعه من العلوم الإسلامية والعربية والعلوم المتداولة في زمانه، فهو عبقري في جميع هذه المجالات العلمية والأدبية، ونظر إلى هذا التنوع في أعماله نستطيع أن نقسم أعماله إلى أنواع: ١- الموسيقى ٢- النثر ٣- الشعر.

أعماله في الموسيقى:

أما أعماله في الموسيقي فقبل أن نتكلم عنها يجدر بنا أن أنقل ما ذكر في الكتب التاريخية وهو أنه كان في عهد أمير خسرو رجل موسوم بـ"نائك جوبال" وكان أستاذًا في الموسيقى وكان له تلاميذ كثيرون يحملون عرشه على عواتقهم أينما رحل وحل، ولما بلغ صيته السلطان علاء الدين الخلجي طلبه إلى بلاطه فجاء إليه واختفى أمير خسرو خلف عرش المملكة وطلب السلطان من "نائك جوبال" أن يقدم نغماته فقدم حتى أخرج جميع سهامه من كنانته في ست جلسات متتالية ثم خرج أمير خسرو في الجلسة السابعة وظهر مع تلاميذه فطلب منه نائك جوبال أن يقدم ألحانه الموسيقية فقال أمير خسرو أن يقدم هو أولا نغماته، وكلما أراد أن يبدء بلحن قال أمير خسرو هذا لحني قد اخترعته قبل مدة مديدة وأخيرا قال إنها كانت ألحانا عادية والآن أصغوا آذانكم إلي وبدأ يقدم النغمات والألحان الخاصة فدهش لها وبهت.

وأما إبداعاته في النغمات والألحان الموسيقية فهي كمايلي:

١. مجير، وهو لحن مركب من لحن "غار" ولحن فارسي.

٢. سازگري، وهو لحن مركب من ألحان: پوربي، گورا، كنگليَ، ولحن فارسي.

---

(١)المصدرنفسه،ص:٩٠.

٣. أيمن.
٤. عشاق، مركب من سارنگ وبسنت، ونوا.
٥. موافق، مركب من توزي، مالري، دوگاه، وحسيني.
٦. غنم، نوع متغير پوربي.
٧. زيلف، أدمج لحن كهت في شهناز.
٨. فرغنه، ادخل كنگلي ، لحن گورا في فرغانه.
٩. سرپرده، ركب سارنگ وپلاول وراست فيما بينهما.
١٠. باخرز، أدخل لحنا فارسيا في لحن ديسكار.
١١. فردوست، أو پهر دوست، مركب من آلحان : كانىڑا، گوري، پوربي، ومن لحن فارسي.
١٢. منم، أدخل لحنا فارسيا في لحن كليان.

ومن مخترعاته الأخرى في الموسيقي: قول، ترانه، خيال، نقش، نغار، بسيط، تلانه، سوهله. (١)

أعماله النثرية:

إن الأعمال المنثورة لإمير خسرو تشتمل على مؤلفات فارسية وهندوية منثورة وعلى مقدمات وخطبات فارسية وعربية كتبها قبل دواينه مثل ديباجة ديوان تحفة الصغر وديباجة غرة الكمال وغيرهما، وكلها جميلة جديرة بأن تقرأ ولا غنى عنهما لباحث حريص على الإطلاع على حياته وأعماله ودقائقه ولطائفه فإنها جميعا تزيدنا هدًى ورشدًا، ومن مؤلفاته في النثر:

إعجاز خسروي:

ويسمى برسالة الإعجاز أيضا، وهذا الكتاب يشتمل على خمس رسائل وخاتمة، وأما غرض تأليف هذا الكتاب فهو تقديم نماذج النثر المرصع بالصنائع والبدائع. وبيان مواضع استخدامه وأما محتوياته فالديباجة تشتمل على الحمد والمديح النبوي ومناقب الشيخ نظام الدين الدهلوي ومدح السلطان علاء الدين الخلجي وعلى ذكر أساليب النثر التسعة الرائجة في عصره، والرسالة الأولى تحتوي على أهمية تناسب الألفاظ وتركيبها وترتيبها وتوجيهات أخرى، والرسالة الثانية تحوي المكاتيب المختلفة بعضها عربية وبعضها فارسية، وعلى الفرامين السلطانية والنماذج العربية والفارسية، والرسالة الثالثة تنطوي على نماذج الصنائع اللفظية، اخترع بعضها أمير خسرو بنفسه،

(١)المصدرنفسه،ص:٩٢ – ٩٣.

والرسالة الرابعة تشتمل على ذكر أساليب النثر وأهمية الإيهام والخيال في الكلام والصنائع المعنوية والرسالات المتفرقة وأما الرسالة الخامسة فيحتوي معظمها على الرسائل التي كتبها أمير خسرو وهو حديث السن، وأما الخاتمة فقد ذكر فيها المشاق التي تجشمها في تاليف الكتاب وشكر للأصدقاء الذين أعانوه في تاليفه وأما أسلوب الكتاب فهو بالجملة نثر مرصع يأتي فيه التكلف أحيانا. (١)

خزائن الفتوح:

ويسمى بالتاريخ العلائي، والكتاب مشتمل على فتوحات وحوادث عهد السلطان علاء الدين الخلجي من عام ٦٥٩ ه / ١٢٩٥م إلى ٧١١ه / ١٣١١م، وهذا يعين الباحثين كثيرا في دراسة عهده ولا سيما في تعيين الحوادث والوقائع.

أفضل الفؤاد:

هذا الكتاب مجموعة لمجالس الشيخ نظام الدين الدهلوي وبعض وقائع دائرته، والكتاب كله في أسلوب سلس سلسال لا تشوبه شائبة التكلف، ولما فرغ عن تاليفه في عام ٧١٩ه / ١٣١٩م قدمه إلى حضرة شيخه فاستحسنه (٢) ولكن ذكر الروفيسور ممتاز حسين أن أفضل الفواد ليس من مؤلفات أمير خسرو بل ألفه أحد من أحبائه. (٣)

أعماله الشعرية:

وأما دواوينه وأعماله الشعرية فهي كثيرة ونحن نستطيع أن نقسم أعماله الشعرية إلى أنواع: ١ – الشعر الفارسي، ٢ –الشعر الهندوي، ٣–الشعر العربي، وأما الشعر العربي فموعدي مع البحث عنه ودراسته في الباب الرئيسي للمقال إن شاء الله تعالى.

وأما الشعر الهندوي فلا شك أنه قال الشعر في اللغة الهندوية وذلك لأوجه آتية:

١ – أنه قد أعترف بنفسه أنه قد قرض الشعر في اللغة الهندوية. (٤)

٢ – إن أمه كانت هندية وإنه ولد في الهند وترعرع في بيت جده من الأم الذي كان هندي الأصل وإنه اعترف بنفسه بأنه يتكلم باللغة الهندوية. (٥)

---

(١) وحيد مرزا: أمير خسرو، ص: ٣٠٢ – ٣٠٩، تعريف هذا الكتاب مأخوذ من كتاب وحيد مرزا وعندما درست الرسائل مباشرة وجدت الأمر كما قال وحيد مرزا أيضًا.

(٢) المصدرنفسه،ص: ٣١٠ – ٣١٧.

(٣) ممتاز حسين: أمير خسرو دهلوي، ص:٢١٨.

(٤) ديباجة غرة الكمال،ص: ٩٩ ومابعده.

(٥) المصدرنفسه

٣- قد ورد استخدام الألفاظ والأبيات الهندوية الكثيرة في دواوينه الفارسية بكل براعة وإتقان إلا أنه لم يجمعها في ديوان على حدة وماتواتر إلينا فهو بواسطة الكراسات الشعرية الخاصة أو بالحفظ على اللسان.

وأما مؤلفه الهندوي الشعري "خالق باري" فقد اشتهر عنه أنه من مؤلفاته ولكن رفض حافظ محمود شيراني في كتابه "پنجاب مين اردو" (اللغة الأردوية في بنجاب) هذا الأمر ورد عليه البروفيسور مسعود حسن رضوي بأنه بلا مرية من مؤلفات أمير خسرو و علق الدكتور وحيد مرزا وممتاز حسين كلاهما بعد بحث ودراسة ونقاش طويل أن معظم ما في كتاب "خالق باري" من كلام أمير خسرو بالقطع، وبعضه منحول وانتساب الكتاب إليه صحيح وصواب وهذا هو رأيهما في الألغاز والأمثال والمنظومات التي يأتي فيها بيت في الفارسي وبيت في الهندوي أيضا. (١)

أما الشعر الفارسي فقد اعترف بمكانته الشعراء الإيرانيون أيضا فقال عبد الرحمن الجامي في "بهارستان" أن لم يكتب أحد جواب خمسة النظامي أحسن من أمير خسرو، وكانت له مكانة مرموقة في قلب الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي.

قال الشعر وهو حديث السن ولم يزل يطالع دواوين الشعراء العبقريين ولم يزل ينسج الشعر على منوالهم لمدة مديدة، بدون أن يقدمه للإصلاح والتحسين وأخيرا جعل يقدم كلامه للإصلاح والتعديل إلى أساطين الشعر فقد صرح في خاتمة "هشت بهشت" أنه قام بأصلاحه الأستاذ شهاب الدين ويظهر أنه ماكان يوافق على كل ما قام بإصلاح أستاذه إذا لم يبد له سبب للإصلاح والتعديل،وذكر في ديباجة غرة الكمال أنه تلميذ للنظامي في المثنوي ويتبعه فيه.

ومن خصائص أمير خسرو الشعرية أنه يعلق بنفسه على شعره ومكانته في الشعر تعليقا موغلا في الإنصاف ويقف موقف محايدا من نفسه، فقد اعترف في ديباجة غرة الكمال أنه ليس من أساتذة الشعر الكاملين ولا من السارقين بل ينتمي إلى طبقة الشعراء المتوسطة وهم الذين لم يوجدواأسلوبا خاصا في الشعر ويتبعون أسلوبًا معينًا لأ حد من الشعراء الكاملين، الذين بلغوا فيه إلى جوزاء الكمال، ثم ذكر أمير خسرو تفاصيل سعدي الشيرازي، وفي المثنوي النظامي، وفي المواعظ والحكم الحكيم سنائي، والخاقاني، وفي القصائد رضي الدين النيشابوري، وكمال اسماعيل خلاق المعاني، وأما أعماله الشعرية فأسمائها كما يلي:

---

(١) وحيد مرزا: أمير خسرو، ص:٣٢٦-٣٣٠ ممتاز حسين: أمير خسرو دهلوي، ص:٣٣٧-٣٧٠.

١. ديوان تحفة الصغر، وهو أول ديوان يشتمل على شعره في حياته البدائية
٢. ديوان وسط الحياة، وهو يشتمل على شعره من العشرين إلى ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين سنة من عمره.
٣. غرة الكمال، يحتوي على شعره من عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م إلى عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م.
٤. بقية نقية، ينطوي على شعره حتى عام ٧١٥ه/ ١٣١٥م.
٥. نهاية الكمال، يحتوي على شعره حتى وفاته.
٦. قران السعدين، وهو أول مثنوي يشتمل على وقائع مراسلة كيقباد وابيه، ومن خصائصه أنه يشتمل على دقائق تاريخية مع ما فيه من النظم ولطائفه و هو في أسلوب سلسال.
٧. خمسة، وهي تشتمل على خمس مثنويات: ١- مطلع الأنوار ٢- شيرين وخسرو ٣- ليلى مجنون ٤- آئينه سكندري ٥- هشت بهشت، وكلها قيلت في زمان قليل بأسلوب جميل وهي خير شاهد على مقدرته في الشعر الفارسي ولا سيما المثنوي.
٨. تاج الفتوح، مثنوي يشتمل على وقائع السلطان جلال الدين الخلجي من عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م حتى عام ٦٩٠ه/ ١٢٩١م.
٩. نهسپهر يشتمل على تسعة أبواب البحور شعرية، فرغ عنه في عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م.
١٠. عاشقة أو العشقية، ويسمى بـ"دول راني وخضر خان" أيضًا فرغ عن تدوينه في عام ٧١٥هـ، ذكر فيها وقائع حب دول راني ابنة ملك ججرات خضر خان بن السلطان علاء الدين الخلجي.
١١. تغلق نامه، وهو مثنوي يشتمل على وقائع وفتوحات السلطان غياث الدين تغلق. (١)

هذا ملخص ما ذكره المؤرخون عن أعمال أمير خسرو الأدبية النثرية والشعرية ولست في هذا المقال بصدد البحث عنها بحثا تحليليا فإن هذه المسؤلية تؤول إلى عواتق الباحثين عن أعماله المنثورة والمنظومة وأما مسؤليتي في هذا المقال فهي البحث عن نبوغه ومكانته في الآداب العربية ودراسته التحليلية وسأتكلم عنها في الأبواب القادمة إن شاء الله تعالى.

(١) شبلي النعماني : شعر العجم، ج: ٢، ص:٩٦ – ١٠١.

براعة أمير خسرو في النثر العربي الفني

نماذج النثر العربي الفني في كتابات أمير خسرو

ومن الأمر الذي لا يتطح فيها عنزان أن أمير خسرو شاعر فارسي لا يدانيه أحد في الهند إلا أن الأمر الذي نحن بصدد البحث عنه الآن وهو أنه لم يكن شاعرا وناثرا فارسيا فحسب بل إنه كان كاتبا وشاعرا عربيا أيضا فهو في موضع الشك والخلاف، فقد أنكر بعض المؤرخين – ومنهم الأستاذ الدكتور وحيد مرزا الذي له فضل يذكر ويشكر في التعريف بعبقرية أمير خسرو وأعماله القيمة – أنه كان يجيد المعرفة باللغة العربية(١) وتمسكوا في هذا الأمر ببعض أبياته الفارسية التي يفتخر فيها بأصله التركي ومولده بالهند ويصرح بأنه لا يرد باللغة العربية على من يطالبه الجواب فيها، فإنه لا يملك السكر المصري يعني اللغة العربية، وواحد من هذه الأبيات كما يلي:

ترك هندوستانيم هندوى گويم جواب
شكر مصرى ندارم كز عرب گويم سخن(٢)

(أنا مسلم هندي من أصل التركي لا أتكلم باللغة العربية فلا أملك السكر الهندي حتى أتكلم باللغة العربية)

ولكننا سنرى فيما يأتي أن هذا الشك والخلاف لا يبتني على أساس قويم فكل من يتصدى لدراسة كتبه ودواينه الفارسية تمر بكثير من المقتطفات العربية المنثورة ومآت من الأبيات العربية ويستيقن أنه كان متضلعا من اللغة العربية والآداب العربية، ولكن قبل أن نخوض في البحث عن تراثه العربي المنثور ينبغي لنا أن نتكلم شيئا عن الأدب وتاريخه ومدلوله ومعناه لكي يساعدنا في فهم أدب صاحبنا ومكانته في اللغة العربية والأدب العربي.

إن كلمة الأدب عربية الأصل ولو لم ترد إلينا النصوص التي تدل على أن الكلمة كانت ذائعة في العصر الجاهلي، أما معنى هذه الكلمة فقد مرت عليها مراحل اختلفت فيها معانيها اختلافًا كثيرًا، فقد استعملت في العصر الجاهلي والإسلامي في معنى الخلق الكريم ومؤثراته في حياة العامة والخاصة، وفي القرن الأول الهجري في المعنى الخلقي التهذيبي والمعنى التعليمي القائم على رواية

(١) The Life and works of Amir Khusro, Vol:1. P:34 Calcutta.1935
(٢) ديباجة غرة الكمال: ص: ٧٣،ط: إدارة تحقيقات عربي وفارسي، بتنا، بيهار، ١٩٨٨م.

الشعر والنثر وما يتصل بهما من أنساب وأخبار وأمثال ومعارف، وفي المعنى العام من المعارف الإنسانية والآثار العلمية وأنواع الفنون الجميلة، وأما في القرن الثالث الهجري فقد انفصلت العلوم اللغوية فيه عن مدلول الكلمة وبقي النقد والبلاغة في مدلولها جنبا إلى جنب حتى حل القرن الخامس الهجري فانفصل النقد عن البلاغة وبقي الشعر والنثر في مدلولها بمعناه الخاص.(١)

وأما تعريف الكلمة فقد حاول كثير من العلماء تعريفها، وبعد بحث طويل وتعب كثير وصلوا إلى أنه الكلام الذي يصور العقل والشعور تصويرا دقيقا، وأخيرا جاؤوا بالقول الفاصل وقالوا: لعل التعريف بالأدب خير من تعريفه.(٢)

لقد اتضح من تعريف الأدب أن كلمة الأدب تشتمل على فنين: الشعر والنثر، وأما الشعر فسنتكلم عنه في الباب القادم إن شاء الله تعالى، وأما النثر فقد شبهه ابن الرشيق بالدر الذي لا نظام له(٣) ومعنى ذلك أن النثر هو كل كلام لا ينظمه الوزن والقافية، وهذا يشتمل على جميع الجمل والمخاطبات التي نستخدمها لقضاء حاجاتنا اليومية المبتذلة إلا أن مؤرخي الآداب لا يعنون بهذا النوع من النثر وإنما النثر الذي يهتم به مؤرخو الآداب هو النثر الذي يمكن أن يسمى أدبا والذي يمكن أن يقال عنه أنه فن، ويكون فيه مظهر من مظاهر الجمال، ويكون له أي تاثير في النفس من أي ناحية من نواحيه وهذا هو الكلام الذي يهتم به الكاتب اهتماما خاصا ويتكلف فيه تكلفا بارزا يأتى فيه بالعوطف والخيال ويزودوه بالفكرة القوية الجميلة مستخدما أسلوبا جميلا رائعا.

وعندما نستقصي كتب أمير خسرو ودواوينه الفارسية نجد فيها عدة نماذج جميلة لهذا النوع من النثر الفني الذي لها أثر في النفوس ومنفذ إلى القلوب ومدخل إلى الطبائع كما نجد فيها الأمثال والمقولات العربية التي فاضت بها قريحته الإبداعية وطبعيته الطامحة نحو الخلق والاختراع، والمقطوعات العربية المتعددة الألوان والأنواع مثل الأدعية للحي والميت بالمدح والذم، والأدعية على العاشق والمعشوق وبالعكس والأدعية للمجالس وأصحابه والأدعية وكلمات التهأني الأخرى اللتي لا يمكن استيعابها في هذا المقال فمن شاء أن يتمتع بنفحات خسرو العربية فليطالع كتابه العظيم "إعجاز خسروي".

والآن نقدم إليكم أولا نماذجا من كلامه العربي المنثور الفني في ما يلي:

---

(١) فصول في النقد، ص:٥ – ١٦،ط:قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عليجره الإسلامية، الهند.
(٢) المصدر نفسه، ص:٣٧.
(٣) طه حسين: من تاريخ الأدب العربي، ج:٢،ص:٤١٣،ط: دارا العلم للملائين. بيروت، ١٩٨٢م.

النموذج الأول:

الحمد لله الفتاح الذي فتح خزائن الفتوح على دين محمد وأعز جميع أنصاره بنصر مؤيد، أعز شانه وأعلى سلطانه، والصلاة والسلام على نبي السيف الذي شق بإشارةٍ قلب القمر والصدر، ووضح من برهانه القاطع ولقد نصركم الله ببدر، والتحية والسلام على أله وأصحابه الكرام المنبهين للنيام باللسان والحسام (١)

النموذج الثاني:

يكتب وصف السلطان علاء الدين الخلجي فيقول:

هو سلطان سلاطين الآفاق، أنور من النيرين في الأشراق، ظل الرحمن على رؤوس الأنام، حامي البراياعن حوادث الأيام، فلك المعاني بالدرجة والتمكين، شمس الأعالي علاءالدنيا والدين، ثالث القمرين في العلى،نورالدارين في الدجي، مدار دور القمر جناب خدامه، ومنار نور الظفر قراب صمصامه، أصبح سناء طلعته في عين السماء، وأضحى سناء جبهته في عين العلاء المنصور بالنصر الفلكي على أدوار الزمان الموصوف بالوصف الكلي أعني محمد شاه السلطان.

الله مد ظلاله فوق الورى ماظل عين فوق أرض بالندى

النموذج الثالث:

يقول في خطبته المسمى بـ"إعجاز خسرو":

الحمد لله الذي خلق القلم للرقم، وخلق النسم لرقم القلم، وأجرى قلمه على الخلق بالحكم والحكم، وجعل القلم علما للعلم في العالم كما قال عزو وجل: علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة على الرسول المرسل الأمي الذي أنزل إليه الكتاب وبرئ به اللوح والقلم، لما يصدر منها الصدق والصواب وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل والآداب، ثبتنا الله على اتباعهم للنجاة يوم الحساب.(٣)

النموذج الرابع:

بسم الله الواهب الذي وهب الشعراء المتبحرة أقلا ما جارية على بحور الأشعار، وجعل محابرهم آبارًا تفيض من قطر قطراتها البحار، حتى يجري منها الظلام والضياء، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، أحمده وأمدح أحمده محمدًا الذي فاح طيب الوحي من فيه، وأنزل إليه لا ريب فيه،

---

(١) خطبة خزائن الفتوح، ص:١،ط:علي جره ١٩٢٧م.

(٢) المصدر نفسه، ص:٢.

(٣) خطبة إعجاز خسروي: الرسالة الأولى، ط:منشي نولكشور، لكهنؤ:١٨٧٦م

عليه صلاة الحكيم العليم ذي الفضل العظيم وعلى آله وأصحابه الذين فضلهم الله على أفاضل الأمم بفضائل النعم، إنه جعلنا رويا من بحور رحمته، نزل عليهم أجمعين.(١)

النموذج الخامس:

يكتب خسرو في رسالته إلى العلامة شهاب الدين وكان أمير خسرو يتردد إليه كثيرا ليعرض عليه كلامه الفارسي:

الحمد لمضيئ الشهاب الله منور الشهاب
شهاب الحق منك يفيض علم كما فاض الحيا من سبح سحب
شهاب أنت تحجب نور شمس كنور الشمس تحجب كل شهب

لله النور الذي جعل الشهب محرقة للشياطين، ووفق لاحتراق شياطين الإنس والدين، مولانا شهاب الملة الزهراء، أزهر نجوم السماء، أصبح شمس السعود طالعة على جبينه وأمسى ليلة القدر ساطعة في سواد يمينه، رفع بالشهاب علمه، ونصب على باب الألباب قلمه، طاعن الفرقدين بالعلو، وثالث السماكين بالسموم، يراعه سهم للسعادة لجرح الأشقياء، وسهم للغيب معه في كتابة الإنشاء، وهو عصا كليم بل عصا كليم وثعبان ملدوغه سليم، ومبغوضه كليم ولو يبلع عصا كليم سحرًا، فهو يلد لمن يطلب السحر الحلال، فمنه يجد لسع العدى كالحيات وبل رائيت أيما يقطر من لسانه ماء الحياة، ما غرق قصب في البحر قط، واذن قصب يغرق في البئر حين يخط فيطلع من ظلمة البئر عين العمر في التحرير.

فالحمد لله الذي خصه بعلوم حق بها أن يخاطب بنعمان الزمان، على أن أصوله في الفقه بدايته يمحوا الضلال بالبرهان، وذهنه نسخة صادقة من لوح محفوظ، وبيانه في معاني التفسير كما هو من جبريل ملفوظ، وعند المحدثين مشهور كالنيرين في مشارق الأنوار، وقد انتشرت أنواره كضوء الشهاب في الأخبار، ولفظه يوجب صحة كل العلل، وفضله ينصب علمه على التعظيم برفع المحل، وفي النظر لا يقاس في الدوران نظيره، وشامل لكل ما هو لازم من العلوم ضميره، هو فيلسوف الإسلام وأبو علي في الأيام، منطقه قوام أنواع الإنسان بأجناس الجواهر، وكلامه أثبت الصانع بالعلم القطعي والبرهان الباهر، بلغ إلى كمال ما يعرف الإنسان من الإله، وبلع تلك البحار وعرفها كما هي، وفي الرياضي برقه الحساب، ويحسب ذرات الرمل على لوح التراب، ولو أراد طبعه في الطبعي ثبت بالدليل القطعي في الأبعاد الثلاثة رابعا، ويزيد على الجهات سابعا، لما يشير

(١) ديوان نهاية الكمال،ط:مكتبة قيصرية دهلي،١٣٣٢هـ.

بحاجبه أدرك الغرائب في الحال كإدراك العيد بإشارة الهلال، وإذا يبحث بحدة البوس ينفجر منه لطائف الأفكار كانفجار العيون من الآبار.

تبارك الله بأن كان يرى يجعل من قطرة ماء بحرًا

أما بعد، فإن مرقوقك القديم خسرو بن لاجين يعرف بالنديم وضع المقلة اليمنى على سدتك العليا، وسود التراب بمس السواد حتى يصير كحلا، فكحل بعين الوداد، ثم أمضى على رأيك المنير مضي البدر المنير أن الصانع تعالى عن الخطاء قلمه في إنشاء المصنوعات، وتنزه عن الغلط رقمه في إبداع المنشئات، وهب لي بفضله العظيم أبياتا هوى فيها الأهواء، إن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء، وأمطر من يراعي بالندى حياء، في أندائه تلاطم بحور الأشعار كما يتلاطم البحر بأقطار الأمطار، غواصها ملأ بالنفائس سفائن، وعابرها حصل من العبرة خزائن، وبعد ما زينت آذان المستمعين بالدرر المنظومة ورتبت أجزاء المنشئين بتلك البدائع المرقومة هيجني قريحتى الفياضة إلى نثر اللآلي المنشورة لأن أحلي منها للعرائس المستورة، وقد كنت نظمت نثرًا من قبيل الماء المعين أحيانا ولكن أرقت الآن لأ لأ دائما أحيانا وأبدعت ترسيلا كسد به متاع البهاء، وحسد عليه روح أبي العلاء، وتقتبس منه الفوائد ناثرا للعرر، ويلتقط منه الفوائد ناشرًا للدرر، سواده كحل العين لأرباب البصيرة، وبياضه عين النور لأعين قريرة، وحين حررت مملوك هذا بحكم القضا، قال متعجبًا في تحرير المشتري قاضي السماء.

من نادرات الدهر مملوكًا لما يقيد بالسلاسل حررًا

رب ليالي أحييتها ويراعتي فيها تهتز كأنها جان وكم أوقدت مصابيح النور في الدجى، والمعنى غير معدود مع دود السراج في الطيران، عطرت عيد اللطائف بالعنبر والعبير حتى تحلب مثلثه بين القصب والحرير، فيامن يثقب جوهر الدقائق بحدة الفكر قد اقترحت منك نظرًا إلى هذا البكر، لأن تغسل خيلان المعائب من وجنتها بريفك المطيب، فلا تتركها معيبة مضحكة كجلوة المشيب، وتنحل ذلك الكحل على الأوراق الرقيقة وتخرج الخشن من الدقيقة، حتى يليق بعين المبصرين ويسود وجه المقصرين، ولا بد أن يطلب مثلي من مثلك هذا الإشفاق، إذ ليس من يحيط بجمهور المعاني دونك في الأفاق، ويراعك قام بقدم السماحة، وعصا لأهل الزلل، فظل بين أبينة البراعة عمدة عند الخلل.

فاليوم أصلح ما كتبت بغافر ما في كتابك يوم حشر يصلح

وجب على شكر ما رتبت بكسرات موائد فوائدك، وكم من ذباب مثلي يحتظ من عوائد موائدك.

الله ضاعف ما أعطاك من نعم حتى يفيض بها في الجن والنسم(١)

الأمثال والألغاز العربية والأدعية المختلفة الأنواع والألوان

قال المبرد: المثل ماخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، فقولهم فلان أمثل من فلان معناه أنه أشبه بماله الفضل، وقال ابن السكيت: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، وقال إبراهيم النظام: يجتمع في المثل أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة، وقال ابن المقفع: إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الكلام.(٢)

فالأمثال يزين الخطيب بها كلامه ويحلي بها الكاتب مقاله ويرصع بها الشاعر شعره ويستخدمها العامة في أحاديثهم، فهي جزء من الأدب ولذلك قد كثرت الأمثال في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾(٣) ويقول في مقام آخر:﴿ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾(٤) لقد توخيت من إيراد هذا الكلام الموجز عن المثل وذكر بعض نماذجه من القرآن الكريم إبراز أهمية الأمثال وإبداعات أمير خسرو فهي جديرة بأن نتناولها بأيدى الإحترام وبقلب الإجلال وبأعين التقدير.

الأمثال في ذكر الله:

حب الودود ودود السعود، الإنسان من المخلوقات أب دأب البشر إلى الله، حب الله لمن امتلأ جوفه بخوف الله، من قوس من عين الخلائق إلى حاجة عين الله عليه، ما أضحى نور الله في خلد الظالم.

الأمثال في الفلك والثوابت:

إن ملكت الملك فلك الفلك، إذا قامت القيامة تعدد الثوابت، هل بصعود المحل سعود الزحل، لو كان بالسعادة علو المحل لفاق المشتري رأس الزحل، ليس مشتري الأملاك كمشتري الأفلاك، بيت المريخ صفر حاجز بنحوسة، العالم بين النحسين كالمشتري بين النحسين، حمرة المريخ من دماء الأحداث

---

(١) إعجاز خسروي: الرسالة الثانية، الخط السادس، ص:١٦٩–١٧٣، ط: منشي نولكشور، لكهنؤ، ١٨٧٦م

(٢) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري:مقدمة مجمع الأمثال،ص:٦،ط:المطبعة البهية، ١٣٤٢هـ

(٣) القرآن الكريم، سورة إبراهيم:٢٤،٢٥

(٤) القرآن الكريم، الكهف:٤٥ .

والقدماء، أينما ينظر الشمس يشيع الشعاع، ذنب السرحان مكنسة الغزالة، بيت الزهرة ميزان الطرب، قوت العطارد من دقائق السنبلة، نقص البدر من عين الكمال، البدر مرآةالعين مادارت الهالة حول الهلال، لوقال قطب مه مازاد القمر، لا يولد من الليلة الحبلي إلا عين الضيا.

الأمثال في البروج:

شرف العين في السفر، شرف الغزالة بالحمل، شرف القمر في الدور إذا حمل على الثور، عقد الثريا جدير بنطاق الجواء، السرطان بيت القمر لا بيت الشعري، سرطان الأرض تجري في العين، وعين السماء تجري في السرطان، سد البروج مركب الغزالة بالبروالعطاء، ماوزن في ميزان الفلك إلا المريخ، ذنب العقرب رأس النحوسات، سهم السعادة في قوس المشتري، لا يستحي الأسد من لحية الحدي، دلو السماء لا يروي الظمآن، ما كشف حوت السماء إلا تمساح البيداء.

الأمثال في العناصر والآثار العلوية:

قليل النار تخمد بالريح وكثيرها توقد منها، النار كثير الرماد لأنها تطعم العباد، بالشمس نار الحجر يتنور نوره نارا، أمر الرياح على الغبار نافذ، وعند الجبال نافد، إذهوى العين من الهواء حجب العين من السماء، قوس قزح حاجب عين السماء سيقطر ما في الغمام، جود الجود يخرب البيوت وجود الجود يعمرها، لا يمضغ الجمر بأسنان البرد، ولم تحصل الري برؤية الماء، وبرؤية البدور أبين خيبته من الماء إذا ما نبش بمرفقيه، ثم إذا لم يكن مع الخبر ترب في الفجل ترب، إذا سقط الرياحين فالتراب مسكي.

الأمثال المتعلقة بالأنبياء:

يلج العالم الكبير في العالم الصغير، خلق السموات السبع في ستة أيام وآدم أربعين صباحا، سفينة نوح بيت نظم البرية، سكين ابراهيم لا يذبح إسماعيل، يوسف قرة عين يعقوب، لن يحصل صبر أيوب من كل اسم دود، أين بروج الجان من ديوان سليمان، حفظ الله لحية هارون من أخذ موسى، لن يأمن أحد من أبي يحي ولو خضر وعيسى، كل من مات في حي عيسى ليس يجب أن يحيا، رسولنا أحمد من آدم ورسولنا أحمد من كل محمد، نقاط القرآن خيلان الرحمة، حروف القرآن سيوف لمقتل الشيطان، السلطان العادل ظل الرب، وظل البر، السلطان الظالم شمس منكسف، الضعيف من كنف ذي الأمان كنمل على كتف سليمان ، الملك عقيم يلد الفتن، كل صاحب اليدين ليس كذي الأكناف وكذوي اليمينين، إذا مال القاضي إلى الشريعة آمن من جهنم، ابتلي أبويوسف بالقضاء،

تأويل القاضي رقية ابتلاء النار، أول العالم السوء لا يخاف آخره، قلب كل حبر ربح، وكل قلب بعض خير بحر، عالمنا يمين مؤكد يمين العلم، العلم حلية الفقيه والجهل حلية السفيه، حاصل الأهل ليس ببحث، سهل العلم يبحث بالمعقول لا يبحث بالمنقول، العقل مخ الرؤوس العظام، الحلم من عرض جوهر المنطق، من ليس له تقويم النفس فهو نقش تقويم، من ملك نفسه فهو ملك بنفسه، من بشر بشرًا بخير فهو بشر، ومن نشر خيرًا لبشر فهو بشر، من نشر نسمه فهو نسيم ومن نشر سمومه فهو سم، طبع الأشرار محرق، وعيش الخيار بارد، لذة الدنيا للأنام كذوق الاحتلام في المنام، من انتبه عن نوم غفلته تنفس صبح رفعته، البيض سلاح جهاد الشيطان، قلب المؤمن مرآة الصفا يرى ما في القلب الصافي كالماء في الزجاجة، من في الصرم حسامه فهو من النيام، ما دخل تحت السيف إلا صاحب الجنة، ماترى الراحة في يد مقبوضه، رأس السخاء سخاء الرأس، غزارة الجود عزارة الوجود، الاعتلاق بناب الفيل أسهل من التعلق بباب البخيل، من مال إلى المال مات في الآمال، إخراج على البخيل أسهل من خرج العين، من استزاد على الأكل والشرب لن يشبع إلا بالترب، ما تولد الفراغ إلا بمباشرة إلا سباب، من بسط بسط من قبض قبض، رضا يتصل بالعين، وضع الإنسان من المني وآب إلى المنية، الإبن مني، والبنت منية، الإبن خلف والبنت خلفه.

الأمثال المتعلقة بالدواب والأنعام:

إذا زاد شعير الفرس جال على جو، من ليس له جواد فهو حمار، الردية عند النخباء شارب الضيغم شريب الدم، ابن آوي فار من أبي العذار، رقص البعير يليق بصوت الحمير، تقبل شفة الدب للطمع لا للحب، لا يرضى الفهد من الظبي بأن يرضعه من الثدي، يامن لك في الرستاق مقر دم في أست الحمار والبقر، الخنزير في حلقوم خير من الخنزير في الحلق، أذن الأرنب علم للفرار، عفو الكلب غضب ، ما لاق عين الهرة الا بهرت العين، ما بدا عين الهرة إلا من عين الأسد، إذا ضحك القرد يبكي أسته.

الأمثال المتعلقة بالطيور:

تمكن العنقاء في القاف تمكن القاف في العنقاء، يد الملوك دست البازي، ما بلغ ماء البحر على نحر البط، الغربان سواد وجه البستان، علو الحمامات ليس من سموم المقامات، بلغ أجل العصفور حين لعب مع البازي، ما رفع الشعير في جو إلا بحواصل الطيور، ريش الديك ليس من المحاسن، لا يتراجع العنكبوت من أكل الذباب.

الأمثال المتعلقة بالعوام والحشرات:

إذا حان بضفدع البئر منيته يعتصم بحبل الحية، إذا صف النمل في الصيف لم يلتفت إلى رف خلد الرؤوف، النون تحت العين يحكي عن صحة النون في العين لا يحتاج إلى العين.

الأمثال المتعلقة بالنبات:

نجم الفضاء ليس كنجم السماء، غضاضة الورد من دماء الخدود، حشر الرياحين لنشر البساتين، لم يبق إلى الأيام النبق، تم أيام التمر ونحن نحتاج، تم خيار البطيخ، فم الفتق للتضريس لا للتقبيل، صفاء حمر القمر بعد النحل، بنت الكرام أم الكرم، من خلو بشر تم هلو مجلس، تنادي قمقمة الراح قم قم.

الأمثال المتعلقة بالمعادن:

الذهب عقد الأحمق وحمق العاقل، من عقد العين حجب نظره، ما عقد العيون إلا النيام، الدرهم حنة العقلاء، درفي صدف يصادف الجوهر، نقب الحجر ليس كثقب الدرر، عين الهرة قص الفأرة مجدران كطبقي الرحى، الحجر ليس محل الحجر، إذا خرج الحية من جحر قتلت بالحجر، السيف مسلول والغمد مدقوق، الحسام بالطبع مدقوق، وبعده مسلول، سنان البطل لسان الأجل، حلية السيف إنارة السيف، لسان السلاطين يغني السهام، يرقص السام إذا حل الحسام أحشاء جعلها ينام، النصل مسعول الروح ومقول الفتوح، القصد ميزاب الدماء، يا من لك درفي العين در في العين، من نفد دره ما نفذ أمره. (١)

الأمثال الأخرى:

من ثبت جوده ثبت وجوده، من أعطي تمرا أعطي ثمرا، من قسط ما سقط، من عدل ما عدل، من نما مكره باد ثمره، من زاد خيره باد خيره، من مات برا عاش في عين العفو، من ارتحل كريما في رياض الرضوان الكريم، من أسقط عوانا بعث في عظام الكلاب، من مات لادغا خلق مثل اللادغة.(٢)

نماذج الأدعية المختلفة:

شوش القبول صدغها كتشويس القلوب، أحرق الودود فوائدها على المحرقين، دام مقنعها، دام شبكة صدغها، لا زالت ذوائبها مسودّة، جعل الله ترائبها نورا لشعاع لخدها، أسكن الله روحها في قلب الحور، عفا الغفور عنها ما ظلم على المساكين، أنبت الله عشقة العشق على قبرها من دموع العاشقين، نبت

(١) إعجاز خسروي: الرسالة الثانية، الخط السابع، ص:١٨٣ ــ ١٨٩

(٢) نفس مصدر،ص:١٩٠

الورد على تربتها من دمي، قلب روحها حورا، رواه الله من عبراتنا في حر القيامة، عذبها الحنان بنياحة المتهممين، ما سقى عين العشاق على روضتها، راح دموعنا إليها وقدحها مداما.(١)

أذاق الله مرارة جوابنا، سكن الله قلبه بالصبر، آنسه طيفنا في حزن الفراق، نور بياض عينه بسواد خالنا، شفته شفتاي في حرقة فرقتنا، عطر روحه بنسيمنا، أراه الله محبوبه في منام الموت، عسل تقبيلنا نبات ترابه، حشره الله مع المجنون، بعثه الغفور بين عشاقي، طال لياله كأصداغنا، أحرق قلبه بنار فرقتنا أبدا، عذب روحه بحسرة لقائنا، نساه الله وأنساه الله من خلدي، طال تعلق روحه بصدغنا.(٢)

لعب في الجنان مع الغلمان، ما يبس خطه في التراب، أسكر أرواح الأولياء شاربه، حل روحه بخلد، طال عليه سلسلة العذاب كجعده،أحرقه الزباني كما أحرقنا لسانه.(٣)

براعة أمير خسرو في علوم البلاغة

إن البلاغة من علوم اللسان العربي، لا يستطيع أحد أن يكتب النثر والشعر بدون المعرفة والتذوق بعلوم البلاغة، والمعرفة بالبلاغة العربية خير دليل على أن صاحبها ذوباع طويل في اللغة والأدب، وعندما نلقى نظرة عابرة على كتب أمير خسرو ودواوينه نجد أن له دراسة عميقة في هذه العلوم فإنه يناقش فيها من وجوهها ويقدم أمثلتها بين حين وآن، إلا أن الكتابين الذين يعدان خير برهان وأقوى شاهد على تعمقه في العلوم البلاغة هما ديباجة غرة الكمال وإعجاز خسروي.

وأما مؤخر الذكر منهما فهو في الحقيقة يتناول أصول كتابة النثر الفني الفارسي ولكنه قد ضمنه أبحاثا بلاغية وأودع فيه مباحث كيفية ومواضع استخدام الصنائع والبدائع وأتى بالأمثلة في الفارسية تارة وفي العربية تارة أخرى، ومما يعجب القاري في هذا الكتاب أنه قد اخترع عديدا من أنواع الصنائع وأتى بكثير من الأمثلة للصنائع والبدائع التي عجز القدماء من تمثيلها بأكثر من مثالين، وحقا نستطيع أن نقدر من دراسة هذا الكتاب خاصة وجميع مؤلفاته ودواينه عامة مدى غوره في البلاغة العربية ومقدرته على اللغة العربية.

وقبل أن نتقدم في البحث عن الوجوه البلاغة في كتاباته يليق بنا أن نعرف علم البلاغة.

البلاغة في اللغة: الوصول والانتهاء، يقال بلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها، وأما معناه في

---

(١) نفس مصدر،ص:٢١١ - ٢١٢
(٢) نفس مصدر،ص:٢٢١
(٣) نفس مصدر،ص:٢٣١

الاصطلاح فهو عبارة عن علوم تعرف بها مناهج التعبير عن المقصود بكلام وفصيح مطابق لمقتضي الحال.(١)

أما علوم البلاغة فهي ثلاثة: علم المعاني، علم البيان وعلم البديع، وتوجد في كتاباته كثير من خواص علم المعاني من الإطناب والإيجاز والمساواة، وأما خواص علم البيان فتوجد في كلامه التشبيهات والاستعارات والمجازات والكنايات، وأما خواص علم البديع فهي دائما طوع قلمه، وتوجد في كتاباته أنواع مختلفة من المحسنات البديعية المعنوية واللفظية، وقد ادعى أمير خسرو في الرسالة الثالثة أنه تفرد بعديد من الصنائع البديعية، وقدم أمثلتها بالعربية والفارسية أحب أن أذكر عديدًا منها فيما يلي:

١ – ذوالوجهين:

وهو عبارة عن كتابة نص يمكن قرائتها بتغيير في النقاط في لسانين مختلفين، مثلا:

رسيدى بد يدى مرادى، به خانے زمانے بباشى به يارى بشائى

يمكن قرءة هذا الشعر بتغير يسير في النقطات كمنظوم عربي والعبارة تكون هكذا

رشيدي، نديدي، مرادي، نجاتي رماني بباس تباري نسائي(٢)

٢– قلب اللسانين:

وهو عبارة عن جمل ينقلب لغتها عندما نقرأ من الجانب الأخر مثلا:

بيا اى ياركه ماكار مى كنيم بهم هر جا كه باش بامن باش

إذا قرأ نا هذا البيت من الجانب الآخر تكون العبارة باللغة العربية هكذا:

مهب مينك يم راك أمك رأي شاب بم آب شابهك أجره (٣)

٣–وصل الحرفين:

وهو عبارة عن جمل لا تكون الكلمات فيها مفردة بل تشتمل على حرفين أو ثلاثة حروف، مثلا:

عش نزهة حاطك فاليم سائل فاجب لربك ما توقع عويل

---

(١) حفني ناصف، محمد دياب، سلطان محمد، مصطفى طموم: دروس البلاغة، ص: ٢١ – ٢٢ ط: مجلس البركات بالجامعة الأشرفية، مباركفور، أعظم جره ، الهند ١٤٢٢ه / ٢٠٠١م

(٢) الرسالة الثالثة، ص:٧٨، ط:منشي نولكشور، لكهنؤ ١٨٧٦م

(٣) المصدر نفسه،ص:٦٤

(٤) المصدر نفسه،ص:٧٢

ترجمة اللفظ:

وهي عبارة عن جمل تكون كل كلمة ثانية فيها تؤدي معني الكلمة الأولى في اللغة الأخرى، مثلا:

إذا دعاك بعطاياك أنجما نادي غدا النجوم في مسرة شادي (١)

في هذا المثال كلمة 'شادي' معناها بالفارسية المسرة:

لقد ظهر مما سلف ظهور الشمس في رابعة النهار أن لأمير خسرو تبحرًا في العلوم البلاغية ولا سيما الصنائع والبدائع، وهذا يقيم البرهان على تضلعه من الأدب العربي، وينقض كليا رأي بعض الناس الذين قالوا أنه ليس له معرفة جيدة باللغة العربية والأدب العربي.

كتابات أمير خسرو العربية المنثورة: دراسة نقدية

لقد ذكرنا في الفصل الأول من هذا الباب أن النثر الذي يعتني به مورخوالآداب هو النثر الذي يمكن أن يسمى أدبا، والأدب يتكون من أربعة عناصر: الفكرة والأسلوب والعاطفة والخيال، والنثر العربي الفني – بكل ما في الكلمة من معاني- إنما نشأفي العرب في القرن الأول للهجرة، وبلغ النثر الفني منتهى قوته قبل أن يطل على القرن الخامس الهجري، ومنذ القرن الرابع الهجري بدأ الكتاب يجرون على رواسم البديع والصناعات اللفظية والمعنوية وكانوا يكثرون التكلف والتلاعب بالكلمات والتراكيب، ولم يزل الأمر كذلك حتى دهم العالم العربي الفرنسيون عام ١٧٩٨م (٢).

هذه كانت أوضاع النثر العربي في العالم العربي وأما الظروف الأدبية للغة العربية في الهند فكانت قاسية للغاية، فقد عرفنا أن العصر الذي ولد فيه أمير خسرو هو عصر دولة المماليك والأتراك واكتسحت اللغة الفارسية فيه اللغات كلها بتيارها الجارف حتى أصبحت لها كلمة مسموعة وصارت لغة رسمية للبلاد الهندية ولكن مع ذلك نبغ في هذا العصر كبار كتاب اللغة العربية ومن أولئك الكتاب: الحسن بن محمد الصغاني، اللاهوري (٥٧٧–٦٨١هـ/ ١١٨١– ١٢٥٢م) صاحب مؤلف العباب الزاخرو اللباب الفاخر. والشيخ فريد الدين مسعود الأجودهني (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م) والشيخ نظام الدين البدايوني الذي قرأ المقامات الحريرية على الشيخ شمس الدين الخوارزمي، وحفظ منها أربعين مقامة وكان شمس الملك هذا من كبار الفضلاء أنذاك، والعلماء عامة في زمانه تلمذوا عليه(٣) وللشيخ نظام الدين خطب شهيرة غريقة في البلاغة (١).

---

(١) المصدر نفسه،ص:٧٨

(٢) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج:٣، ص: ٦١٣ – ٦١٦، ط: دارا العلم للملائين.

(٣) عبد الحق المحدث الدهلوي: أخبار الأخيار، ص: ٩٧، ط: مكتبة نورية، سنهر، الباكستان .

ولكن عندما ندرس أدب هذا العصر نجد أنه لم يكن محكم الأسلوب قوي المعاني لا في الهند بل في العالم العربي كله على عكس ماكان عليه الأمر قبل القرن الخامس الهجري، فإن القريحة العربية الأدبية قد فسدت وأخذت مكانها القريحة الفارسية فهذا عصر انهيار اللغة العربية، وفي هذا العصر ولد أمير خسرو بعيدا من مهد العروبة والعربية، ولد في الهند التي لا تتصل أطرافها بالبلاغة العربية، فمن الطبيعي أنه يسلك مسلك أولى زمانه ويكتب اللغة العربية على غرار أهل مصره، وطبقًا لما كان سائدًا في زمانه من النزعات، ولذلك نراه يتكلف مثل تكلف الحريري في ترصيع كلامه بالصنائع والبدائع من الجناس والتورية والاشتقاق وغيرها ولأجل ذلك يأتي أحيانًا بالكلمات العربية ويتصرف تصرفات غريبة في الكلام لا يبالي بالمعنى وقوتها وضعف الأسلوب وركاكتها، فمعظم كلامه فارسي الأسلوب والمواد، غير أننا نجد لديه كلاما عربي القالب والأسلوب والمحتوي أيضًا، وليس من الإنصاف أن نتوقع ممن ولد بعيدا من الحضارة العربية والبيئة العربية أن تكون إنتاجاته العربية سلسلة البيان، قويمة الأسلوب، محكمة الألفاظ، وعميقة المعاني ولاسيما إذا كان الأمر متدهورا في العالم العربي أيضا.

وأما الأمثال التي فاضت بها قريحته الإبداعية فهي مادة شيقة للدارسين والباحثين لأن يقوموا بمقارنة علمية بين أمثاله والأمثال العربية الأخرى ويبرزوا مدى قوتها معنى وغاية.

مغزى القول أن الإنتاجات المنثورة لصاحبنا تحتل مكانة هامة بين التراث العربي الهندي المنثور وكل من درس عصره وبيئته وبيئة اللغة العربية في الهند وفي العالم العربي في ذلك الزمان وتعمق في مؤثرات الأدب في ذلك الزمان ولاحظ سائر الاعتبارات التي تجب على الباحث النزيه ملاحظتها ظهر له أن محاولاته لا شك صادقة جديرة بأن نوفي حقها إليه ولا نتصدى لأن نحط من درجتها ونقلل من أهميتها، فإن كتابات الهمذاني والحريري وأمثالهما نعدها حتى الآن من جملة التراث العربي فأي شيء يمنعنا من أن نجعل تراث أمير خسرو العربي من جملة التراث العربي الهندي، ولو هناك ممن يدعي أن التراث العربي الهندي المتسم بالصنائع والبدائع ليس بحقيق أن نقيم له وزنا وتحسب له حسابًا فعليه أن يمحو أسماء جميع الكتاب العرب المتسجعين من كتب تاريخ اللغة العربية والأدب العربي.

*****

(١) عبد الحي الرائ بريلوي: الإعلام بمن في الهند من الأعلام، ج:١،ص:١٨٠،ط: دار عرفات، رائ بريلي، ١٩٩١م.

دراسة كتاب رسائل الإعجاز والأبيات العربية فيها

العوامل المؤثرة في الشعر والأدب:

إن الأدب مرآة للحياة الإنسانية وسجل لتاريخها ومعرض لبيئاتها المختلفة، يختلف الأدب باختلافها ويتسم بأثر عقائدها الدينية ومظاهر حياتها المختلفة فيحق بنا أن نقف قليلًا ونستكشف العوامل والأسباب التي تغير الحياة أولًا والأدب ثانيًا، وإذا رجعنا إلى هذه الأسباب التي يذكرها الباحثون وجدناها كثيرة متنوعة فلنذكرهنا أهمها ولنتكلم عنها بايجاز ليكون عونًا لنا في دراستنا الآتية لشعر أمير خسرو العربي.

ومن أهم هذه العوامل:

١-**المكان**: خذ مثلًا الأمة العربية التي كانت في الجاهلية تقطن الصحراء وكانت تعيش معيشة تتسم بالفقر والخشونة والعصبية القبلية فكان الشعر والأدب أيضًا بارزًا بميزة الخشونة في الكلام والبداوة في الخيال وكانت عناصرها مأخوذة من الجبال والوعول والدواب والرمال ولكن انقلب الأمر كليا عندما تحضرت هذه الأمة وعاشت في المدن والبلاد.

٢-**الزمان الأدبي**: وله تأثير في الأدب ونستطيع ملاحظته بدراسة وموازنة الأدب العربي في العصر الأموي والعباسي، فإن العصر الأخير خصوصًا قد امتاز بالحضارة والثروة والخلاعة المجون فتأثر الأدب بهذه كلها ولذلك أخذ أبو نواس يستهل قصائده بوصف الخمر والبساتين ويذكر فيها الخلاعة والاستهتار وذلك بالعكس على ماكان عليه الأمر في العصر الأموي.

٣-**الجنس**: إن له تأثيرًا كبيرًا في حياة الأدب، فإننا نرى اختلافًا كبيرًا بين أمة وأخرى في المواهب الطبعية والتفكيرية والتصويرية والتعبيرية وتنتقل هذه الخواص والميزات من جيل إلى جيل فكأنه فارق خلقي بين الجنسيات المختلفة.

٤-**التربية**: وهي تشتمل على آثار الأسرة والتعليم والثقافة الخاصة المحيطة برجل ما، فقد توجد جماعة اشتركت في الجنسية والمكان والزمان الأدبي ولكنها مع ذلك متقاوتة في آدابها بسبب اختلافها في التربية، فأدب النحوي واللغوي والفقيه وغيرهم يتسم بطوابعهم الخاصة.

٥-**الدين**: لا يستطيع أحد أن يشك في تأثير الدين على الآداب، فبفضل ذلك ابتكرت الأناشيد

الدينية المختلفة وتنوعت مضامينها وألحانها وموسيقاها كما كان للكتب الدينية المقدسة مثل القرآن المجيد والتوراة، والفرق الدينية من الشيعة والمعتزلة والمتصوفة تأثير مباشر على الأدب.

٦-**الحالة السياسية**: إن هذا العامل أيضا ذو أثر بعيد في حياة الأدب ويتضح ذلك في عدة نواح، منها أن النهضة السياسية العامة تنهض بالخطابة لتأييد الحرية وإثارة الجماعات وتنبيهها إلى كرامتها الضائعة كما وجد في نهضة مصر المعاصرة التي ظهر فيها الخطباء الشعراء والكتاب الذين اشتركوا فيها بأقوى سلاحهم.

٧-**صلات الشعوب وعلاقاتهم**: يختلف الأدب باختلاف الصلات بين الشعوب سواء أكانت هذه الصلات حربية أو سلمية فقد انتفع العرب من الفرس والروم وسائر البلاد التي فتحوها وتأثرت آدابهم بآدابهم وكذلك أوجدت الحروب الجاهلية الفنون الحماسية في الشعر وليست الإلياذة وقصة عنترة وسيفيات المتنبي إلا من آثار الحروب.

٨-**الشخصية الفردية أو المزاج الخاص**: وهذا العامل من أخص مؤثرات الشعر والأدب، خذ مثلًا ابن الرومي فهو دائمًا متشائم من الدنيا وصروفها، وأما البحتري فهو دائمًا متفائل من الحياة ونعيمها وربيعها، وإنما وقع هذا التفاوت في النظر إلى الدنيا للمزاج الخاص والشخصية الفردية لكل من الشاعرين.(١)

ملخص القول إن أي أثر في الحياة يبدو في الأدب بكل وضوح فإنه من شأنه أن يكون لها ترجمانًا دقيقًا وتاريخًا صحيحًا لم يتلاعب به أيدي الزمان الشريرة.

أوضاع الشعر العربي في عهد أمير خسرو في الهند

لقد تبدلت مظاهر الحياة العلمية والأدبية تبدلا كبيرا في العالم العربي في عهد أمير خسرو فقد كثر التصنيف والتاليف في التفسير والحديث والفقه وأصوله والمسائل الخلافية والفقهية وأتسع التاليف في موضوعات التاريخ من السيرة والتراجم والطبقات، وكان اهتمام المماليك باللغة العربية على أنها لغة السياسية والإدارة والتنظيم والعلم عظيما جدا، وأما عنايتهم بالأدب العربي الناصع المتكون من الشعر والنثر فلم تكن كبيرة، ولكن مع ذلك نجد الشعر في هذا العصر كثيرا جدا، مع أننا نستيقن أن نصيبا أكبر منه قد أكله الدهر وشرب.

(١) فصول في النقد، اعداد: قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علجره الإسلامية، ص: ٦٤، ٧١، ٩٣ و١٠٥، شوقي ضيف: في النقد الأدبي. ص: ٥٨،٦٨، وص:١١٩. ٢٢ ط: دارالمعارف، القاهرة

وأما مواضيع الشعر في ذلك العصر فقد كان الشعراء يكثرون من قرض الموشحات والشعر في المديح النبوي والملمعات، وهي عبارة عن مقاطع من الشعر الفارسي يرد فيها شطر أو بيت أو أكثر من الشعر العربي على نظام خاص، وكذلك كثر الشعر في المخمسات والتضمينات، والنظم في الألغاز، وكثرت الفكاهة في الشعر كثرة بارزة أيضا.

وأما الشعر بالنسبة إلى عناصره الأربعة فلم يكن بوجه عام قوى المعنى، مبتكر الخيال، عميق العاطفة، جميل الأسلوب، قويم الصوغ بل كان عبارة عن شعر يكثر فيه الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ويأتي فيه المعاني المتكررة والتشابيه والإستعارات العادية والألفاظ الركيكة، يتكلف فيه المتكلفون للوجوه البلاغية وخاصة للوجوه الصناعية البديعية، وكان المتنافسون يتنافسون في تاليف أبيات تمكن قرائتها من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين وتاليف أبيات معجمة تارة ومهملة تارة أخرى وتاليف أبيات تدل على اسم أو تاريخ خاص بحساب الجمل وكانوا يعملون أفكارهم في أبيات تبدأ بحرف معين وتنتهي بكلمات متشابهة، ويجهدون أنفسهم في كتابة أبيات كلماتها كلها مفردة أوضوابط فلكية أو فقهية أو نحوية وصرفية، وظلت هذه الظاهرة سائدة على العالم العربي أيضًا حتى أغار نابليون على مصر عام ١٧٩٨م وأيقظ العرب من نومهم الطويل.(١) بالجملة كان الشعر العربي في هذا العصر ظاهرة انهيار اللغة العربية والأدب العربي والثقافة العربية.

وأما الشعر العربي في هذا العصر في الهند فليحفظ في ذاكرتنا بهذا الصدد أن الهند بعيدة عن مهد العربية والعروبة والحضارة العربية، وأوضاعها تختلف بتاتا من أوضاع العالم العربي، ومع تقلل ظاهرة التعلق ببلاط الملوك والأمراء من قبل الشعراء وانهيار الشعر والأدب في العالم العربي كانت هناك عدة من الشعراء الذين كانوا متصلين ببلاط الملوك في هذا العصر وكانوا يمدحون هؤلاء الملوك وينالون الجزاء الأوفى على مدائحهم منهم، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة إلى الملوك الهنديين، فلم يكونوا بوجه عام يتمتعون بالذوق العربي الخالص بل كانوا مولعين باللغة الفارسية، ولذلك ما كان الشعراء المتعلقون بأبواب الملوك أيضا كانوا يقرضون الشعر في اللغة الفارسية، وإلى جانب ذلك كان هؤلاء الشعراء أنفسهم رغم تضلعهم من اللغة العربية يجيدون قرض الشعر

(١) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج:٣، ص:٢١٤-٦٢٣، ومحمد أحمد الغرب: عن اللغة والأدب والنقد، ص: ١١٠، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

العربي، ولذلك لم ينبغ من تربة الهند في ذلك الزمان شاعر عربي امتهن الشعر أو تكسب به وسمي بشعراء البلاط واشتهر مثل أبي نواس والمتنبي.

ولكن لا يتمخض عن الكلام المذكورة آنفًا أنه لم يكن هناك حركة الشعر العربي في الهند في عصر أمير خسرو أو فيما بعده ولم يولد فيها شاعر عربي قال الشعر بكل إجادة وإتقان وإبداع، فهذا من الأمور التي لا يتسرب إليها الشك أن الهند في عصر أمير خسرو أنجبت عديدا من العلماء والصوفية الذين كانوا من كبار شعراء اللغة العربية، ومن أعلام الشعر في هذا العصر الشيخ بدر الدين إسحاق (ت ٦٩٠ه/ ١٢٩٢م) وله عدة قصائد عربية غراء (١) والقاضي عبد المقتدر الكندي (ت ٧٩١ه/ ١٣٨٩م) وله قصيدة رائعة لامية عارض من خلالها على لامية العجم للطغرائي (ت ٥١٥ه/ ١١٢٢م) مطلعها كما يلي:

الظعن في الأسحار والأصل سلم على دار سلمى وأبك ثم سل

قال عنه السيد سليمان الندوي إنه شاعر هندي وحيد قرض الشعر على منوال الشعراء العرب(٢) ومن أبيات قصيدته:

محمد خير خلق الله قاطبة هو الذي جل عن مثل ومثل
له المكارم أبهى من نجوم دجى له العزائم أمضى من قنا البطل
له الجمال إذا ما الشمس قد نظرت إليه قالت ألا ياليت ذلك لي(٣)

والشيخ أحمد التهانيسري، وله قصيدة دالية تعد من روائع الأدب العربي الهندي ومن أبيات هذه القصيدة:

محمد أحمد الهادي لأمته إلى الصراط صراط غير ملتحد
قد عاقني البعد عن مرمى أومله وطال شوقي إلى لقياك يا سندي
أرجو ا لوفاة في أرض حللت به يالهف نفسي إذا ما كنت لم أفد (٤)

وأما الأغراض الشعرية في الهند فهي أغراض عادية من المدح والغزل والهجاء والرثاء والتضمين والتخميس والمديح النبوي خاصة، وأما ماهية الشعر العربي في الهند فهو شعر تقليدي

---

(١) أمير خورد: سيرالأولياء، الترجمة الأردوية: إعجاز الحق قدوسي، ص: ٣٠٣، ط: مركزي اردو بورد، لاهور، ١٩٨٠

(٢) جميل احمد: حركة التاليف باللغة العربية في الأقليم الشالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ط: جامعة الدراسات الاسلامية، كراتشي

(٣) عبدالحي الرائ بريلوي: الاعلام بمن في الهند من الاعلام، ج:٢،ص: ٧٣.ط: دارعرفات رائ بريلي ١٩٩١

(٤) المصدر نفسه، ج: ٣، ص:٩.

كلاسيكي تبدأ القصيدة فيه بذكر الديار والأطلال، ويغلب عليه الطابع الفارسي وتوجد فيه خصائص وميزات موجودة في الشعر العربي المعاصر له في العالم العربي، ويتسم بكثرة استخدام الآيات القرآنية أوجزء منها وقطعات الحديث النبوي الشريف والترصع بأوجوه المحسنات البديعية، ويمتاز بالتلاعب بالألفاظ والكلمات والتكلف في المعاني لأغراض شعرية تسربت إلى الشعر العربي بسبب اجتياح الثقافة الفارسية، ولا توجد فيه قوة المعاني، حسن الألفاظ، عمق العاطفة، دقة الخيال والشعور بوجه عام.

ملخص القول إن الشعر العربي في عهد أمير خسرو في العالم العربي وفي الهند يشابه بعضه بعضا لفظا ومعنى وغاية وميزة، فكانت الأسرة المستولية على عرش المملكة أسرة المماليك والأتراك في كلتا البقعتين: العرب والهند، وكانت هاتان السلالتان وأوضاعهما وثقافتهما بالجملة واحدة متشابهة بعضها ببعض.

الأبيات العربية في الرسالة الأولى لرسائل الإعجاز

إن رسائل الإعجاز أو رسالة إعجاز خسروي تعد من مؤلفات أمير خسرو التي تشتمل على الأبيات العربية المفردة الكثيرة، وهذا الكتاب يشتمل على خمسة رسائل(١) الرسالة الأولى في المفردات والمركبات وتحتوي على عشرة خطوط، الخط الأول في عدة أشياء مختلفة، وهو ينطوي على سبعة أحرف، والخط الثاني في المفردات وهو يشتمل على خمسة أحرف، والخط الثالث في لطائف ألفاظ النحو والصرف والأدوات وحروف الهجاء، وهو يشتمل على ثمانية أحرف، والخط الرابع في النوادرات التي تنفجر من الكلمات المصطلحة للعلوم وهويحتوي على أربعة أحرف، والخط الخامس في الألفاظ المصطلحة للترسلات القديمة وبيان استعمالها على منهج جديد وهو ينطوى على تسعة خطوط، والخط السادس في مناسبات تاليف الألفاظ والألقاب والأسماء والكتابات التي توتى بها في مستهل الرسالة وهو يشتمل على ثلاثة حروف، والخط السابع في المضمونات والمكنونات وهو يحتوي على ستة حروف، والخط الثامن في الأدعية القديمة والجديدة، وهو ينطوي على ثلاثة حروف، والخط التاسع في التاريخ وهو يشتمل على سبعة حروف، والخط العاشر في ما يشترط به في النسبة وهو يشتمل على ثمانية حروف.

(١) لقد استخدم أمير خسرو في كتابه هذا كلمة "الرسالة" بمعنى "الباب" و"الخط" بمعنى "المبحث" و"الحرف" بمعنى "الفصل" فلنفهم هذا.

واستهل الكتاب بديباجة تحتوي على تحميد الله تعالى والصلاة على نبيه ومناقب شيخه السيد الشريف نظام الدين الدهلوي قدس الله سره ومدائح السلطان علاء الدين وغيرهم وعلى ذكر أساليب الكتابة التسعة الرائجة في عصره وقد أودع خلال هذه المباحث العلمية كثيرًا من الأبيات العربية والفارسية والمصاريع العربية والفارسية، وأما الأبيات العربية فهي أكثر من الأبيات الفارسية وأما عدد الأبيات العربية في هذه الرسالة فهو ١٠١ بيت، وأما المصاريع العربية فيبلغ عددها ٢٢ مصراعًا، وفيها بيتان أحد مصراعيهما عربي.

وتوجدفي هذه الرسالة عدة مباحث يمكن أن نتعرف من خلالها تضلعه من اللغة العربية والشعر العربي، خذ مثلًا مبحث الحرف الخامس من الخط الأول الذي يشتمل على ملاحظات شعرية وأدبية، ومبحث استعمال الألفاظ كثير المعاني في الحرف الأول من الخط الثاني، ومبحث لطائف حروف الهجاء في الحرف الثاني من الخط الثالث، ففي جميع هذه المباحث يكثر الاستدلال بالأبيات العربية التي فاضت بها قريحته الإبداعية، يقول مثلًا في إيضاح ما يصدر من حروف الهجاء من اللطائف: "الألف السخي والفرد في الفضائل" ثم ياتي ببيت يوضح فيه الألف بالمعنى السابق فيقول:

ترى ألفا على أعلى أرائك دواما في الفضائل والعطايا(١)

ويقول في حرف الياء "الياء الحية" ثم يقدم بيتا يوضح فيه ذلك المعنى فيقول:

إذا راح ياء من يمن يا ذا الفضائل من بقي(٢)

وأما نماذج الأبيات المفردة الرائعة التي توجد في طوايا هذه الرسالة فهي كما يلي: قال في مدح الشيخ نظام الدين أولياء:

إذا كان يبسط كفه في دعوة ملك الإجابة عاجلًا يستقبل (٣)

وقال في مدح السلطان علاءالدين الخلجي:

يدعوالبرايا مد ظل محمد وعداة تعدم مثل ظل محمد(٤)

وقال في مدحه أيضا:

---

(١) إعجاز خسروي، الرسالة الأولى، ص: ١٠٥، ط:منشي نول كشور، لكناؤ، ١٨٧٦م.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١١.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٤.

ولولم يكن سحب السماء تقاطرت دواما في أياديه تزيد نوالها[1]

وقال في وصف إنشاءه البديع:

أرني عجبا من غريب بدائع إبدعتها حتى يهيم عطارد[2]

وقال في وصف حروب السلطان:

ظل الأراضي في الدماء لغزوه كالترب في تبر زمان عطائه[3]

وقال في وصف الشعر:

بلى قد قيل إن الشعر ماء وقيد الماء بالأقلام سحر[4]

وقال في وصف روضة:

إن تدر في رياضنا دورًا فترى من تحت بركة تاءًا[5]

وقال وهو يذكر أن حديثه في هذا الرسالة لمن يحتاج إليه لا لعظماء الناس:

عظام الناس لا يحتاج عظما إلى عظم فذالك لذى احتياج[6]

وقال في وصف فكرته الرفيعة:

ونري سهام الفكر فيها بشدة يشق قلوب الحاسدين قياسها[7]

وقال في مدح الشيخ العلامة عين الدين:

يلازمه طبعه عين المعاني ملازة المواطر للسحاب[8]

وقال في وصف الكتاب:

وعلى نقطته تهجم جمعا ملك كالعصافير على سمسة قد تقع [9]

وقال في وصف كتابه "رسائل الإعجاز"

هذا الكتاب بفضل الله ذى الكرم أنشأت سحرا لصيد الجن والنسم

فالله نورا أعيان الكرام به مالاح حرف على القرطاس من قلم [10]

وقال في تمجيد الله:

---

(1) المصدر نفسه، ص: ٢٠.
(2) المصدر نفسه، ص: ٢٥.
(3) المصدر نفسه، ص: ٣٣
(4) المصدر نفسه، ص: ٤٨
(5) المصدر نفسه، ص: ١٠٥.
(6) المصدر نفسه، ص: ١٣٤.
(7) المصدر نفسه، ص: ١٤٨.
(8) المصدر نفسه، ص: ١٢١.
(9) المصدر نفسه، ص: ١١٦.
(10) المصدر نفسه، ص: ٢.

تعالى صانع ملك حكيم يصور صنعته مالا يصور(١)

وقال في سعادة حظ نفسه:

فطوبى لعبد خصه خالق الورى بإحسانه فضلا وأعطاه مارجا (٢)

وقال في مدح السلطان:

فمشاعل الإحسان أوقد بالندى إيقاد مشعلة السماء على الورى (٣)

الأبيات العربية في الرسالة الثانية

ألف أمير خسرو الرسالة الثانية من رسائل الإعجاز في المرتبات من المكتوبات، وهي تشتمل على عشرة خطوط، الخط الأول في الفرامين والأحكام ومكتوبات القضاة والمشايخ والسادة وله حرفان، الخط الثاني في مكتوبات أصحاب المناصب والديوان، والكتاب، ومكاتيب أصحاب المهنة والوظائف الأخرى وله حرفان أيضا، وأما الخط الثالث ففي التنجيم والعلويات وله ثلاثة حروف، وأما الخط الرابع ففي المكاتيب المتفرقة وله أربعة أحرف، وأما الخط الخامس فهو في مكاتيب الآباء والأمهات والأبناء وله حرفان، وأما الخط السادس ففي الكتابات العربية والفارسية وله حرفان، وأما الخط السابع ففي الأمثال العربية وله حرفان، وأما الثامن فهو في المكاتيب وخزعبلات العاشقين، وله حرفان، وأما الخط التاسع ففي الرقعات المتفرقة وله أربعة حروف، وأما الخط العاشر فهو في الرقعات والكتابات المختلفة وله حرفان.

وقد وردت في هذه الرسالة أيضا أبيات عربية مفردة كثيرة خلال المباحث المذكورة أعلاه، وهي تتعلق بالمواضيع المختلفة، وأما الأبيات العربية المفردة فقد بلغ عددها ٢١٨ بيت وأما المصاريع العربية المفردة الواردة في هذه الرسالة فهي ٤٢ مصراعا، وأما المصاريع العربية التي جاءت ممزوجة بالمصاريع الفارسية في الأبيات الممزوجة فعددها إثنان فقط، وأما نماذج الأبيات العربية التي فاضت بها قريحة أمير خسرو فهي كما تلي: قال في المدح:

في الورى ليس مثله أحد بالفقاهات والدرايات

ضاء نور الكمال منه كما لمعت الشمس في الولايات (٤)

وقال في غرض آخر:

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٦.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٩.
(٤) الرسالة الثانية، ص: ١١.

وتقنعون بها منا يصيب لهم عين كأجنحة الذباب(١)

وقال في حسن المعيشة:

والناس يا لفون حسن معيشة كالتوامين بجوف بطن الأم (٢)

وقال في وصف أرض الهند:

ويلوح بالقمرين عرضة أرضها كملح حاذاه عين ذكاء(٣)

وقال في حسن المعيشة:

ومن طيب عيش بأوطانهم يدورون كالراح في الراحة (٤)

وقال أيضا:

والبدر يستر في ستارة نورها كالنجم يحجب في ستارة من ذكاء(٥)

وقال في المديح النبوي عليه السلام:

أيا من فقت من حكم القضاء ونورت الشريعة بالبيضاء

أضاء الأرض وجهك ثم أضحى ضياء منك في عين السماء(٦)

وقال في الدعاء:

أعز الله وجهك في عيون كما عزز العيون على وجوه (٧)

وقال أيضا:

الله نور من لقاءك مقلتي حتى يتبيض مقلة الحساد(٨)

وقال في وصف سرعة القلم:

في كف عارضنا اليراع كأنه يهتز برق سرع في العارض(٩)

وقال في المدح:

ضياء الشمس لا يخفى بحال ولوكان التراكم في السحاب(١٠)

وقال في المدح أيضا:

---

(١) المصدر نفسه، ص: ١٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٨.
(٤) المصدر نفسه، ص: ١٨.
(٥) المصدر نفسه، ص: ١٩.
(٦) المصدر نفسه، ص: ٢١.
(٧) المصدر نفسه، ص: ٥٢.
(٨) المصدر نفسه، ص: ٥٣.
(٩) المصدر نفسه، ص: ٥٨.
(١٠) المصدر نفسه، ص: ٧٥.

وسجدت باب الشمس كمل فيضه ذا النقص كالشمس المنير هلالًا(١)

وقال في المناجاة:

أرني لقاء النجم يارب الورى حتى رأيت النجم في يوم الغد(٢)

وقال في حسن المعيشة:

والعيش كماء المعين هني والعمر كالروض السقي بهيج (٣)

وقال في وصف السلطان:

ويمطر بالندى كل الرعايا كما مطر السحاب على البرايا(٤)

وقال في المدح أيضا:

شهاب الحق منك يفيض علم كما فاش الحيا من سبح سحب(٥)

وقال في الغزل:

للــه درك يــا نسيــم ديــارهــا كيف الرسوم ببابها وجدارها(٦)

وقال أيضا:

والطاهر الميمون من أوج الهوى هناك بالإصلاح في ليل النوى(٧)

وقال أيضا:

الله يرزق كل ذي الهوى عهد الوصال برؤية المعشوق(٨)

وقال في ذكر المحبوب:

سلام على من ليس يذكر عهدنا وذكراه قلبي لا يزال يجدد(٩)

وقال في هجر المحبوب:

لوكان أكتب حال البين في ورق عين الدماء من الأقلام يتفجر(١٠)

وقال أيضا في هجر المحبوب:

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٧٩.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٩٥.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٨.
(٤) المصدر نفسه، ص: ١٠٨.
(٥) المصدر نفسه، ص: ١٦٩.
(٦) المصدر نفسه، ص: ٢٠٤.
(٧) المصدر نفسه، ص: ٢٢٠.
(٨) المصدر نفسه، ص: ٢٢١.
(٩) المصدر نفسه، ص: ٢٢٢.
(١٠) المصدر نفسه، ص: ٢٢٣.

ياغيم خذ من دمعتي جود الندى فامطر على محرابه إذ يعطش(١)

وقال أيضا:

إذا يشرب صفوا الرحيق ذو فليس يركن من بعده إلى كدر(٢)

وقال أيضا:

كــن في الملاهــي والغناء كزهرة مادامت ترقص في السماء كواكب(٣)

وقال أيضا:

رأى هجرانك القتال نفسي غريقا في المدامع قال ما هي(٤)

وقال أيضا في الدعاء:

أدعوك يا عين الأعزة بالمنى حي عاجلا فإن وجهك بغيتي

إذ كنت تجلس عندنالك مجلسا هيهات في عيني بل في مهجتي (٥)

الأبيات العربية في الرسالة الثالثة

قد قام أمير خسرو بتاليف الرسالة الثالثة في اللطائف من المصنوعات وإنها تشتمل على خطين، أما الخط الأول ففي الصنعات القديمة والتصرف فيها على وجه جديد، وهو يحتوي على إثني عشر حرفًا، الحرف الأول في الإيهام، والثاني في التجنيس، والثالث في التصحيف، والرابع في التلميع، والثامن في الاشتقاق، والتاسع في صنعة النظم والنثر، والعاشر في التسميط، والحادي عشر في السجع، والثاني عشر في صنعة المعلى.

وأما الخط الثاني فهو في الصنعات الجديدية التي اخترعها خسرو ويشتمل على خمسة عشر حرفا، الحرف الأول في صنعة "دوروية" (ذي الوجهين) والثاني في ذى الرؤيتين، والثالث في قلب اللسانين، والرابع في فارس العرب، والخامس في مبادلة الرأسين، والسادس في قطع الحروف، والسابع في وصل الحرفين، والثامن في اتصال الحروف، والتاسع في أربعة الأحرف، والعاشر في الخمسة المفردة، والحادي عشر في معجزة الألسنة والشفاء، والثاني عشر في عزل اللسان، والثالث عشر في ترجمة اللفظ، والرابع عشر في ضمن اللفظ، والخامس عشر في المعميات:

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٢٥.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٧٢.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٢٤.
(٤) المصدر نفسه، ص:٣١٢.
(٥) المصدر نفسه، ص:٣٢٦.

وأما الأبيات العربية المفردة المذكورة في هذه الرسالة فعددها ٥٦ بيتا، وأما المصاريع المفردة العربية فهي أربعة وأما المصاريع المفردة العربية الواردة في الأبيات الممزوجة فهي ثلاثة فقط، وكلها في طوايا نصوص الرسالة الفارسية، والجدير بالذكر أن أمير خسرو قد قدم الأمثلة لهذه الصنائع كلها من عنده بالأبيات العربية والفارسية أو الكتابات العربية والفارسية المنثورة، وإليكم هذه الأمثلة العربية المنظومة لبعض الصنائع المذكورة في الخط الأول:

التصحيف: وهو عبارة عن كتابة بيت تكون كلماتها مشاركة في الهجاء، مثلا:

فيا صفاح مذ موماتنا إصفح بمصحفك الكريم مصحفاتي(١)

الترصيع: وهو صنعة يوتى فيها كل كلمة تكون موافقة الوزن والقافية، مثلا:

أعطاك ربك يازين الورى نعما آتاك لبك ياعين العلى حكمًا(٢)

التلميع: وهو صنعة يكون فيه بيت أو مصراع باللغة العربية والثاني بغيرها من اللغات: مثلا:

كباب كان مصرعان فيه يكى خالص زر وديگر زنقره(٣)

وأما الأبيات العربية التي نظمت كنماذج للصنائع التي اخترعها أمير خسرو في الخط الثاني من هذه الرسالة فهي كما تلي:

ذو الرؤيتين: وهو مايمكن فيه قراءة البيت بلغتين مختلفتين بعد تغيير يسير في النقاط، مثلا:

رشيدي نديدي مرادي نجاتي رماني بباس تباري نسائي

يمكن قراءة هذا البيت في اللغة الفارسية هكذا:

رسيدي نديدي مرادي نجاتي زمانى بباشي بشائي(٤)

قلب اللسانين: وهو ما يمكن فيه قراءة البيت من جانب اليمين واليسار بلغتين مختلفتين مثلا:

بيا اي ياركه ما كار كنيم بهم هر جا كه باش با من باش

يمكن قراءة هذا البيت من جانب اليسار في اللغة العربية هكذا:

مهب مينك يم راك أمك راى يائب شاب نم آب شابهك أجره (٥)

فارس العرب: وهو عبارة عن كلمات عربية تكتب على نسق فارسي ويمكن قراءتها كبيت عربي أيضا مثلا:

بحر علم وحزانه انصاف عمر عهد وحيدر ثاني

ملك الشرق اعدل الأمراء أهل فضل وبذل احساني

---

(١) الرسالة الثالثة، ص:١٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٣.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٥.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٦٢.
(٥) المصدر نفسه، ص: ٦٤.

يمكن قراءة هذين البيتين باللغة العربية هكذا:

بحر علم وخزانة إنصاف عمر عهد وحيدر ثاني
ملك الشرق أعدل الأمراء أهل فضل وبذل احسان(١)

وأما نماذج الأبيات الواردة في هذه الرسالة فهي كما تلي:

قال في وصف إنشائه:

حتى ترى صور الخيال بلوحه كالماء والمرآة حين تراهما(٢)

وقال في مدح النبي عليه السلام:

حييت ذا شرف خلق الأنام له والجد قبل تعظيما أنا مله(٣)

وقال في الغزل:

أصاح هل أبصرت ناعمة تريك بالوجهين خلوتها(٤)

وقال في المدح:

إنني رجيت عين اللطف در الذي من يديه فاض بحر العين بالله الودود (٥)

وقال في الرجل الصالح:

فطوبي لمن يبقى من الخير غرسه ومن كان من ذاك الغراس تمتعا(٦)

وقال في مدح الشيخ زين الملك محمد ختني:

يفيض دموعه في ود زين وقضت روحه في طول بين(٧)

وقال فيه أيضا:

صلاحك زين اسمك بين دهر فزين كل بيت مدح زين(٨)

وقال في الدعاء:

الله ينصر أولياءك نصرة غيبية أبدية قلع العدى(٩)

وقال في وصف كلامه البديع:

ألا فانظروا روابطه إلى لفظ لدى لفظ قريب الشبهة كالعينين والصادين بالعين(١)

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٦٥.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٤.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٥.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٦٠.
(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٥.
(٦) المصدر نفسه، ص: ٣٣.
(٧) المصدر نفسه، ص: ١٩.
(٨) المصدر نفسه، ص: ١٨.
(٩) المصدر نفسه، ص: ٦٦.

وقال في وصف كلامه أيضا:

مما نعر على القرطاس من قلم لا يصور في الأذهان والفكر (٢)

وقال في وصف الملك:

وكل إليكم قد تعطشوا تعطش حرباء إلى عين مشرق(٣)

الأبيات العربية في الرسالة الرابعة

ألف أمير خسرو الرسالة الرابعة في بيان البدائع من المعنويات وإنها تحتوي على خمسة خطوط، الخط الأول في بيان التشبيهات ولطائف البديع وأمورها التي تجب العناية بها، و الخط الثاني في مفردات هذا القسم ويشتمل على ثلاثة حروف، والخط الثالث في الفرامين ومكاتيب السلاطين ويشتمل على ثلاثة حروف، والخط الرابع في رسالات العلم والحكمة، والفضل والأدب والموعظة والنصيحة ويشتمل على ثلاثة حروف والخط الخامس في الرقعات الموجزة ويشتمل على ثلاثة حروف.

والخط الأول ليس له حرف، والحرف الأول من الخط الثاني في ذكرالله تعالى والأنبياء والأولياء والمشايخ والعلماء والصوفية والملوك وخاصة من الكتاب، والحرف الثاني في الآباء العلوية والأمهات السفلى والمواليد الثلاثة، والحرف الثالث في المقدمات المفردة المكتوبة، والحرف الأول من الخط الثالث في التشبيهات مع الفرامين، والحرف الثاني في الفرامين، والحرف الثالث في مكاتيب السلاطين، والحرف الأول من الخط الرابع في مكتوبات العلم والحكمة، والثاني في مكتوبات الفضل والأدب، والثالث في مكتوبات الوعظ والنصيحة، والحرف الأول من الخط الخامس في رقعات المحدثين والمناظرين وأصحاب الفروض، والحرف الثاني في رقعات التهنئة.

وأما الأبيات المفردة العربية في هذه الرسالة فهي ٢١٥ بيت وأما المصاريع العربية المفردة فهى ٦١ مصراعا وأما المصاريع العربية في الأبيات الممزوجة فهي أربعة فحسب، وأما نماذج الأبيات العربية الجميلة التي حوتها هذه الرسالة فهي كما تلي:

قال في وصف أصحاب العلم والقلم:

ليس كل ذوى التمثال من نسم إلا الذي فيه حظ العلم والحكم(٤)

وقال في وصفهم أيضا:

ألا أنهم ماتوا ويحيون دنيا فطوبى لأموات يحيى الشرائعا(١)

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٣٧.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٣.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٦٦.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٥.

وقال في وصف كلامه:

ومن يدعي مثله كان كذبا كعكس التماثيل في وسط[٢]

وقال في ذم الرجل المستهين بنعمة الله:

يامن تركت وليمة شعيرة والله مت على الموائد جائعا[٣]

وقال في وصف فرح الرجل:

وأضحى قلوب الناس فيها كفرحة الطير في الهواء المغيم[٤]

وقال في وصف النسيم:

إذا جاء النسيم بطيب ورد يصير المسك تربا جاء فيه[٥]

وقال في تحميد الله عزوجل:

على هذا الإحسان لله شكر إلى حين حين وساعات حين[٦]

وقال في الرجل الذي يحب المال:

يامن يعيش في الدنيا بحرمة الأموال هل في أحترامك حرمة بمال[٧]

وقال في ذم الرجل الذي يمدح بالغلو والإغراق:

ويل لذي ظلم جهول مظلم في بحر شعر بالمدائح يغرق[٨]

وقال في وصف كلامه:

يطيب كمثل عطشان يروي بماء بارد في بحر صيف[٩]

وقال أيضًا:

وترى الخلائق في الدماء بنانهم كأنامل النسوان في الحنّاء[١٠]

وقال في موضوع آخر:

وبرقم ذلك الخط يفرح جدهم كالطفل أضحى بالهدية يفرح[١١]

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٨.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٩.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٨.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٢١.
(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٦.
(٦) المصدر نفسه، ص: ٧٤.
(٧) المصدر نفسه، ص: ٩٧.
(٨) المصدر نفسه، ص: ٩٨.
(٩) المصدر نفسه، ص: ٩٩.
(١٠) المصدر نفسه، ص: ١١٢.
(١١) المصدر نفسه، ص: ١١٢.

وقال في مدح وجه الملك:

وضاءت ظالم الليالي به كما ظلمة الليل من بدره(١)

وقال في وصف السيف:

السيف يقرع من تضارب راحة وبراحة دون التضارب يسكن(٢)

وقال في موضوع آخر:

فالناس كلهم بما من حفظنا يتمتعون بمالهم ومنالهم(٣)

وقال في وصف فقدان السلام:

فر السلامة من أطراف مأمنهم كالصبر عن خلد العشاق في الشغف(٤)

وقال في وصف الهواء:

قبول بلون الورد حين ترينه كأن نسيما في النهار يعيد(٥)

وقال في الدعاء:

أبقى الإله وجود الشمس ملتمعًا حتى يبيت أصيل المظلم مستورا

وقال في الذم:

ضحك الورى منه كما لو جاهلا يطلي على الجعل المنجس صندلا(٧)

وقال في الذم أيضًا:

ولم يحصل كنوز التبر إلا بنقب أوبغصب أو بفسق(٨)

وقال في وصف حالة الطرب والمسرة:

وأنشد الطير كالشادي بلهو ويرقص تحت غصن الورد ماء(٩)

الأبيات العربية في الرسالة الخامسة

ألف أمير خسرو الرسالة الخامسة في السوابق من الإنشاء وإنها تشتمل على ستة خطوط، وأما الأول فهو في الحرف والقلم ويشتمل على ثلاثة حروف وأما الخط الثاني فهو في التنجيم والكواكب

---

(١) المصدر نفسه، ص: ١١٨.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٢٥.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣١.
(٤) المصدر نفسه، ص: ١٥٢.
(٥) المصدر نفسه، ص: ١٥٩.
(٦) المصدر نفسه، ص: ١٨٣.
(٧) المصدر نفسه، ص: ٢٦٩.
(٨) المصدر نفسه، ص: ٢٧٤.
(٩) المصدر نفسه، ص: ٣٢٩.

السبعة ويحتوي على حرفين وأما الخط الثالث فهو في التوقيعات ويشتمل على حرفين وأما الخط الرابع فهوفي بيان مرض وله حرفان وأما الخط الخامس ففي كتابات رسالات الغراء وله حرفان وأما الخط السادس فهو في المزاج والتطايب وله أربعة أحرف.

والحرف الأول من الخط الأول في لطائف الصحائف، والثاني في وصف السيف والقلم، والثالث في الأشياء المتعلقة بالأسلحة، والحرف الأول من الخط الثاني في التقويم ودقائق النجوم والثاني في بيان الكواكب السبعة، والحرف الأول من الخط الثالث في طلب القلنسوة والثاني في توقيع الغلة، والحرف الأول من الخط الرابع في الكتابات المتعلقة بالنظم، والحرف الثاني في الكلام المنثور، وأما الحرف الأول من الخط الخامس فهو في مكاتيب العزاء من لسان الغير على سبيل الإيجاز، وأما الثاني ففي مكاتيب العزاء من لسان الغير، وأما الحرف الأول من الخط السادس فهو في طيب الجد بالهزل والمزاح وأما الثاني ففي إدبار الأدبار، وأما الثالث ففي بيان سحر السخر وأما الرابع ففي براءة وقبض السخرية.

وأما الأبيات العربية المفردة التي احتوت عليها هذه الرسالة فقد بلغ عددها ٧٠ بيتا وأما المصاريع المفردة الواردة في هذه الرسالة فهي إثنان، وأما المصاريع العربية والآتية في أبيات ممزوجة فهي واحدة، وأما نماذج الأبيات التي حوتها هذه الرسالة فهي كما تلي:

قال في وصف الرجل الكريم:

أثاب الله شبعا نا كريما يمضغ كسير ة لرضا المضيف(١)

وقال في الرجال الذين لا يفهمون كلام البلغاء:

يامن يذم نهيك ملعب صبوة أنظر إليه بأعين الصبا(٢)

وقال في تحميد الله تعالى:

فالحمد لله الذي نصر الغزاة بعونه حتى علا الإسلام أعلى من علا

وقال في الغزل:

أرسلت كتابا وبك الدمع رسول بالشأن على الدمع ولو بلغ أول(٤)

وقال في مدح السلطان:

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٥.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣.
(٤) المصدر نفسه، ص:١٥

يامن حربت حضور كل كواشح سماك سيف الدين لا بطال الغزا
بالارتجال إذا كتبت ثناء كم فتقبل الأنام الواح الثنا[1]

وقال فيه أيضا:

دام الثناء عليك من قلم الورى مادام جاب السيف أعناق

وقال في الغزل:

الصبر فلا يدوم لكن في القلب وداده يدوم[2]

وقال في ذم الدنيا:

أبان لي الدهر داء كذلك الدهر غدار وصلت مهجتي الحمى وعرض أحرقت نار
عصرت ذنب في جسمي وبالي منه مزمار بلا أعصاب حومالي كما في الصنج أوتار [3]

وقال في الغزل:

ودورك يا وديدى مثل خلد وليس كمثلها كل البلاد[4]

وقال في المدح:

ترقي الجو صفتها علاء وشدت كالسماء بلا عماد[5]

وقال في السخرية:

لتحفة روحه نطفا أذاقوا كأن يسقيه من عين الحياة[6]

وقال فيها أيضا:

أيا وجه الفساد وعين لوم يفسدك ذات أصلاب الحديد
لقد حار الخلائق فيك لما صدعت الصخر بالضرط الشديد[7]

وقال فيها أيضا:

لو يمدح البلغاء فرجة فرجة كالبحر وسعت قوافي صيغة[8]

([1]) المصدر نفسه، ص: ١٦.
([2]) المصدر نفسه، ص: ٤١.
([3]) المصدر نفسه، ص: ٥٤.
([4]) المصدر نفسه، ص: ٦٧.
([5]) المصدر نفسه، ص: ٦٨.
([6]) المصدر نفسه، ص: ٨٦.
([7]) المصدر نفسه، ص:١١١.
([8]) المصدر نفسه، ص: ١١٦.
([9]) المصدر نفسه، ص: ١٣٩.

وقال فيها أيضا:

عروس كذئب وبعل كوعل عفا الكلب تزويج تلك العفيفة[1]

وقال فيها أيضا:

كادالطبيعة من كراهة وجهه لبن الرضاع مع الحري يستفرغ [2]

وقال في كلامه:

أكلت دخان سرج بالتذاذ لما احترق الفواد ثم هذي[3]

وقال في أعداءه:

من كان يخرج قلبنا متعديا فالله بالإنصاف يخرج قلبه[4]

وقال في وصف كلامه:

يباهي كل داماء المعاني به مادام في الدماء مائي[5]

([1]) المصدر نفسه، ص: ١٤٧.
([2]) المصدر نفسه، ص: ١٥٠.
([3]) المصدر نفسه، ص: ٥٥.
([4]) المصدر نفسه، ص: ١٦٤.
([5]) المصدر نفسه، ص: ١٦٥.

دراسة كتب ودواوين مختلفة وما فيها من أبيات عربية

الأبيات العربية في خزائن الفتوح

إن كتابه خزائن الفتوح تاريخ موجز لعصر السلطان علاء الدين الخلجي، وقد أدرج فيه حوادث زمانه من عام ٦٩٥ه/ ١٢٩٥م إلى عام ٧١١ه/ ١٣١١م وسمى الكتاب بخزائن الفتوح لأن الله تعالى كما صرح خسرو بنفسه. قد فتح له خزائن فتوح المعانى السامية وجواهر الأفكار العالية والأخيلة العميقة التي يتمتع بها الشعراء أمثال أبي تمام والبحتري فقد أراد الله تعالى منه أن يكتب أحوال عصر السلطان علاء الدين الخلجي وبيان مجده ويذكر ماقام بها من حملات عسكرية ومانالها من فوز كبير في مختلف بقاع الهند وماكان في العصر من ازدهار السلطنة وسعادة الخاصة ورفاهية الجمهور. (١)

استهل هذا الكتاب بخطبة عربية جميلة وتلك كما يلي:

الحمد للفتاح الذي فتح خزائن الفتوح على دين محمد وأعز جميع أنصاره بنصر مؤيد، أعز شانه وأعلى سلطانه، والصلوة والسلام على نبي السيف الذي شق بإشارة قلب القمر والصدر، ووضح من برهانه القاطع ولقد نصركم الله ببدر، والتحية والسلام على آله وأصحابه الكرام المنبهين للنيام باللسان والحسام.(٢)

ويعد ذلك ذكر السلطان بالألقاب الفخمة ومدحه وأخلص له ثناء عطرا، وأنهى الكتاب بهذه الألفاظ للدعاء والصلاة والتسليم على النبي عليه السلام:

"توفنى مسلما وألحقني الصالحين ، اللهم صل على عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين المعصومين، برحمتك ياأرحم الراحمين"(٣)

والكتاب يشتمل على ٨٢ بيتاعربيا مفردا وعلى ١٤ مصراعا عربيا وعلى خمسة أبيات مصراعها الأول فارسي ومصراعها الثاني عربي، إلا أن هذه الأبيات المفردة المذكورة في هذا الكتاب معانيها مطوية في سياق النص الفارسي المنثور وسباقه فلايسهل فهمها الا بعد دراسة سياق الكلام وسباقه

---

(١) أمير خسرو: خزائن الفتوح، ص: ٣ ط: علي جره
(٢) المصدر نفسه، ص: ١
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٨٦

وربما توجد أفعال في هذه الأبيات ترجع ضمائرها إلى كلمة في النص الفارسي ولها متعلقات ذكرت في الكلام الفارسي السابق، وإلى جانب ذلك توجد في ثنايا النصوص الفارسية المنثورة كثيرة من آيات القرآن أوجزء منها،فلا نقرء صفحة أوصفحات الا وفيه آية من القرآن الكريم أوجزء منها، وقد أتى بها على وجه يزيد كلامه رونقا وبهاء ويخل إخراجها في جمال الكلام ، فكأنها لآلي منظومة، وقد صرح في خاتمة الكتاب أن جميع الأبيات في هذا الكتاب فارسية كانت أو عربية قد أبدعتها قريحته ولم ينقل واحدا من مصراع شاعر غيره، فإنه لم يستحسن أن يشين كتابه هذا بذكر أبيات غيره.(١)

ومن نماذج الأبيات العربية في هذا الكتاب:

قال داعيا الله الكريم لطول حياة السلطان علاء الدين الخلجي:

الله مد ظلا له فوق الورى ما ظل عين قوق أرض بالندى(٢)

وقال في وصف الجيوش السلطانية:

وقد فتحت بصولته قلاع كأزهار الشقائق بالرياح(٣)

وقال في مدح السلطان المذكورأعلاه:

كيف يحاذيك بالندى عين جودك عين وجوده ماء(٤)

قال أيضًا:

إن طلب السائل من عائل قطرة ماء وجد القرقفا(٥)

وقال في وصف عتاب السلطان وجيوشه على الكفار في الحرب:

عتاب لويصيب على جبال تصير مياها أتتها دماء(٦)

وقال وهو يصف سطوة السلطان وشدة بطشه:

لعمرك عاص لا يرى في زماننا بسيفك أن يزيد في الهند عصيانا(٧)

وقال في مدح السلطان:

---

(١) المصدر نفسه، ص: ١٨٥.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٢.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٢.
(٥) المصدر نفسه، ص: ٣٩.
(٦) المصدر نفسه، ص: ٦٢.
(٧) المصدر نفسه، ص: ٦٩.

رعى الله سلطانا يربى عباده كشمس يضيء البدر من فيض نورها[1]

وقال في وصف الجيش السلطاني:

له في قتل أساد كمال كما للذئب في قتل النعاج[2]

وقال وهو يصف شموخ الجبال وعظمته وهول الغار الموجودة بها:

لوكان يوصف غارها وجبالها خرت سجودا فيه فكرة واصف[3]

وقال في وصف الجيش الملكي:

مشرف له ثلم الغمام حدودها ثلما وما بين الغمام براق[4]

وقال في وصف الجواهر التي حصل عليها الجيوش بعد الفتح:

ولؤلؤ مثله في البحر لن تجدا إن كان يبكي الحيا في فقده أبدا[5]

وقال في وصف الفتح الذي حصل عليه الجيش:

ويجري في السواحل ماء سيف يغرق بحر كفر في الشريعة[6]

وقال فيه أيضا:

والفتح أضحى زارعا بدد الرجا في أرض إقبال كما حصد الظفرا[7]

وقال فيه أيضا:

كتائب في غبار الفتح قد سترت كتائب ترتد ي من نور غفران[8]

وقال في وصف الطرق الوعرة التي وطئتها أقدام الجيوش:

الوهم يزل مثل نمل في طاس والفكرة تعي كد جاج في يم[9]

وقال في المدح:

وابيضت الآفاق من نور، كما في جمعة ثوب الحنيف الصالح[10]

وقال في وصف الغنائم التي حصل عليها الجيش الإسلامي:

---

(1) المصدر نفسه، ص: ٧٣.
(2) المصدر نفسه، ص: ٧٦.
(3) المصدر نفسه، ص: ٨٥.
(4) المصدر نفسه، ص: ١٠٥.
(5) المصدر نفسه، ص: ١١٧.
(6) المصدر نفسه، ص: ١٢٤.
(7) المصدر نفسه، ص: ١٢٧.
(8) المصدر نفسه، ص: ١٢٨.
(9) المصدر نفسه، ص: ١٢٩.
(10) المصدر نفسه، ص: ١٣٥.

بألوان أثمار وتبر ودرهم كأن بساتينا من الورد تضحك(١)

وقال في وصف قتل الطغاة:

فأضلاع باغ قطعت بحسابهم كأضلاع بطيخ بسكين قاطع(٢)

وقال في وصف القلعة أحاط بها السلطان وجيشه:

ترى حصنا حوله الماء اسمه بئر يكون الماء في البئر وذلك البئر في الماء(٣)

وقال في وصف طاعته لأمر السلطان:

إني لأخدم خط أمرك طائعا كالقوس يخدم في التنازع للوتر(٤)

وقال في وصف الأفيال:

تزلزلت الأعلام إذ صال في الوغى كأعلام أجناد إذا سدّت تصرصر(٥)

وقال في وصف القتلى في الحرب:

يدي الدست من قتلى وبل دماءها كأيدي العذارى من تلون حناء(٦)

وقال في وصف خيول الجيش:

ومحت حوافر خيلهم من أرضها بأهلة أنوارها ونجومها(٧)

القصائد والأبيات العربية في ديوان نهاية الكمال ووسط الحيوة

ديوان نهاية الكمال:

ألف أمير خسرو هذا الديوان بعد أن اعتلى على العرش السلطان محمد تغلق بعد وفاة السلطان غياث الدين تغلق وكتب ديباجة في مستهله تشتمل على تحميد الله تعالى ومدح النبي عليه الصلاة والسلام ومناقب الشيخ نظام الدين الدهلوي قدس الله سره، ومن الغريب من أمير خسرو أنه لم يذكر فيها شيئا عن ديوانه واسمه ووجه تسمية، فإنه بوجه عام يذكر في ديباجته عن ديوانه أو مؤلفه واسمه ووجه تسميته وهذا يعين الباحثين كبيرًا في دراساتهم.

---

(١) المصدر نفسه، ص: ١٣٥.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٣٩.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤١.
(٤) المصدر نفسه، ص: ١٥٠.
(٥) المصدر نفسه، ص: ١٥١.
(٦) المصدر نفسه، ص: ١٥٧.
(٧) المصدر نفسه، ص: ١٧٣.

وقد وجدت في هذالديوان بالتتبع عدة منظومات عربية تشتمل بعضها على بيتين وبعضها على ثلاثة أبيات أو على خمسة أبيات، وعدة قصائد مزدوجة مصراعها الأول فارسي والثاني عربي، وقصيدة مزدوجة بعض أبياتها عربية وبعضها فارسية والمصراع الأول لبعض الأبيات عربي وقد وجدت فيه أربعة أبيات عربية مفردة أيضا، وافتتح أمير خسرو ديباجته بخطبة عربية رائعة وتلك كما يلي:

بسم الله الوهاب الذي وهب الشعراء المتبحرة أقلاما جارية على بحور الأشعار وجعل محابرهم آبارا تفيض من قطراتها البحار، حتى يجري منها الظلام والضياء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، أحمده وأمدح أحمده محمدا الذي فاح طيب الوحي من فيه وأنزل إليه لاريب فيه، عليه صلاة الحكيم العليم ذي الفضل العظيم وعلى آله وأصحابه الذين فضلهم الله على أفاضل الأمم بفضائل النعم، إنه جعلنا رويا من بحور رحمته، نزل عليهم أجمعين.(١)

والآن نتمتع بنماذج من قصائده العربية المذكورة في هذا الديوان الفارسي، فمن قصيدته في الغزل:

رأيت مدورا فيه اللآلي ... منظمة كأسنان الكواكب
كأن مخدرات في اجتماع ... وخدر بستّين كمثل حاجب
وتحت خدرها غيما رقيقا ... بتفريق يرى مثل الكواكب
حلاوته ترغب كل طبع ... حموضة يشهي كل راغب
ليت كان هذا الرمزيدرى ... أنار ضميره معطى المواهب (٢)

ومن قصائده الأخرى في الغزل المذكر:

مخططا أمردا رأينا ... من مولده يجيئ في السوق
كأسان يلا صقان فيه ... ولكن إذا صح غير مفروق
إسمان من إسمه في الأنعام ... بالعجم سوى الجمال والنوق
في بطنه أمها ته من ... صنع الملك الحكيم بخلوق
بدرها بأهلة تجلى ... بالوسل كعاشق ومعشوق (٣)

ومن قصائده المزدوجة في الغزل:

روزى بلاغ گفتم كز نسبتست بامه ... من بعد لست حيا من هذه الندامة

---

(١) ديوان نهاية الكمال، ص: ١، ط: مكتبة قيصرية، دهلي ١٣٣٢م.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٨.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٩.

چوں أو كند خرامش باشكل وقدوقامت	نُظّاره تنادي قد قامت القيامة
گاهی زند به تیغم گاهی زند به تیرم	في كل ما تعدى خلاقه أدامه
چوں حال خویش گویم باظالمی که پیشش	لم يعتبر حديثي كالعجم فى التهامة
ما ئیم وکعبه جان مردن بوادی غم	والله فر مني يا طالب السلامة
امشب بناله خود خوش بوده ام که نا که	في الصبح ذاب قلبي أو رنت الحمامة
خسرو زطعنه اینجاست بازی جان	كالسيف كيف يرضى من خاف من ملامة(١)

ديوان وسط الحياة:

قام أمير خسرو بتاليف هذ الديوان عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م على طلب من أحبته وأصد قائه، وأستهله بديباجة رائعة تكشف القناع من وجه التدوين وتزيح اللثام عما سيأتي فيه، ولاتوجد في هذا الديوان الأبيات العربية المفردة الا ثلاثة أبيات، والديوان يبتدأ بقصيدة التحميد التي تحتوي على ٤٢ بيتا ولا شك أنها قصيدة جميلة رائعة تترصع أو أخر عجزا البيت بجزء من آية القرآن على وجه يكون برهانا لما قيل سابقا وأود أن أنقل عدة أبيات من هذه القصيدة، فهي حقا تدل على براعة أمير خسرو في الشعر العربي أيضا، وبعض أبيات القصيدة كما يلي:

حمد رانم برزبان لله رب العالمين	آنكه بخشيده است از قرآن هدى للمتقين
رحمتش بين مهر بان مادرى كز فرث ودم	شير خالص مير ساند لذة للشاربين
هيچ از نيك وبد پيدا نگردد درجهان	هرگز إلا أن يشاء الله رب العلمين
هيچ نكشيايد ز در هائى دگر در آن تست	ربنا افتح بيننا خود انت خير الحاكمين
رهبرم لا تقنطو من رحمة الله كن كه من	برسبيل مفسدانم كم سبيل المفسدين
نورده چشم مرا از سرمه أنظر اليك	چوں لقائى خويش بنمائى لقوم عابدين
يارب بيچاره خسرو را درين توحيد تو	درسخن رفته است لغوى انت خير الغافرين (٢)

الأبيات العربية في ديوان غرة الكمال وتحفة الصغر

غرة الكمال:

قام أمير خسرو بتاليف هذ الديوان عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، وكتب له ديباجة طويلة تعالج

(١) المصدر نفسه، ص: ١٧٢.
(٢) ديوان وسط الحياة، ص: ١، ٤، ط: كتبخانه نظامية دهلي.

الأبحاث المختلفة من فن الشعر ومن الوجوه التي ترجح بها كفة الشعر الفارسي بالنسبة الى الشعر العربي ومن المحسنات البديعية، وافتتحها بقوله: الله اطلع أهله الغراء من مطلع هذا غرة الكمال، فأرجوا أن يجعل طلوعها مباركا كرؤية الهلال. (١)

وأما الأبيات العربية فقد توجد في ثنايا ديباجته وديوانه أبيات عربية تزيد من مائة، ومصاريع عربية مفردة ومركبة عديدة، وإلى جانب ذلك توجد فيه قصائد في المدح الغزل، وأما قصيدته في الغزل فهي كما يلي:

ذاب الفواد وسال من عيني الدم وحكي المدامع كل ما أنا أكتم
أفنيت عمري يا نهاية منيتي حان الزمان والمنية أسقم
وإذا أبحت لدى الورى كرب النوى فبكي الأحبة والأعادي ترحم
يا عاذل العشاق دعني باكيا إن السكون على المحب محرم
من مات مثلي فهو يدري حالتي طول الليالي كيف بات متيم
يا صاحبي لا طعن علينا للهوى هذا من الرحمن حكم محكم
لا تشربن مدام ودّ خرائد قد ذقته أرى الصبابة علقم
ما جاء صحبي لا خلو من بيننا جاء إليها وقد تبسم خوجم (٢)

ومن نماذج أبياته العربية الرائعة:

حن العنادل في الروضات من عطر وقد يطير غراب الروض للجيف (٣)

تغيرت البلادو من عليها فوجه الأرض مغبر قبيح(٤)

حبيبنا هذا به مجذوم مؤقرة العزة في الأنام
خبيثنا بذاته مجذوم مؤقرة العزة في الأنام(٥)

تحفة الصغر:

(١)ديباجة غرة الكمال، تحقيق: سيد على حيدر ص:١، ادارة تحقيقات عربي وفارسي، بتنه، بهار، ١٩٨٨م.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٩٦.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٨.
(٥) المصدر نفسه، ص: ٧٠.

هذا الديوان يشتمل على شعره البدائي وقد كتب له ديباجة تسلط الضوء على جوانب حياته وتوجد في هذا الديوان بضع أبيات وقصيدة فارسية مزدوجة تأتي فيها العجز باللغة العربية، وهي كما يلي:

بياكه از شب گيسو مدد فزائى حيات	يلوح بدرك كالبدر عن كمال صفات
بيا بخانه چشم در آ، كه ساخته دارم	نثار مقدمكم عن جواهر الفرات
نصاب ريتواكنوں كه كاملست بخوبى	فاعطنى نظرا عن نصابكم لزكات
مراكه ميكشى امروز چيست وعده بفردا	فليس يمسك خط الجمال بعد وفات
نمائنده بود بس دوش كز فراق بميرم	خيال صدغك قد مد يده بحيات
حديث خاستم از درد خوش تاتو گويم	جرى المدمع عن مقلتى على وجنات
چووصف حسن تو ودرد من بخانه نگنجد	فكيف أكتب حال الفقير فى صفحات
زجام شق توبى خود شدم نقاب كشادل	فما رأيت جمالًا وصرت فى

دراسة تحليلة:

لقد لا حظنا في الفصول السابقة نماذجا من الأبيات العربية التي قرضها أمير خسرو وانتهينا الآن في مرحلة تحليلها ودراستها لتكشف لنا قيمة شعره العربي ومنزلة أمير خسرو فيما بين شعراء اللغة العربية في العرب والهند ولكن قبل أن نتناول تراثه الشعري بالدرس والتحليل والانتقاد ينبغي لنا أن نتعرف على الصاغة الشعرية والتجربة الشعرية فهذا ياخذ بأيدينا إلى الغاية المنشودة:

فالتجربة الشعرية ثقل ومشقة وجهد وحدث وجداني ينبع من نفس صاحبه ومن عقله وحواسه وينفجر من خوالجه النفسية والفكرية الظاهرة والباطنة(٢) وهو مرآة تنعكس فيها شخصية الشاعر وبيئته وعصره وأشياء أخرى تتصل بها من ظروف وصور وأوضاع بكل ما فيها من قوة وضعف وانحلال وتوتر، ويتلخص منه أن للشعر لغة خاصة مختارة تمنحه روعة وجزالة وتعطيه رقة وعذوبة وجمالا وتحفظه من السوقية والابتذال، ولو تجرد الشعر من إحدى هذه الخواص لما كانت له قيمة فنية حقيقة.

وإذا عرفنا ذلك علينا أن نوجه زمام البحث إلى النصوص الشعرية ودراستها ودراسة ما يتصل بها، وفي سبيل البحث والنقاش عن شعره العربي يجب لنا أن نحاول استخلاص خصائص الشاعر

(١) تحفة الصغر: ص:١٦٢، ط: تحقيق: سيد على حيدر، ط: ادارة تحقيقات ، بتنه، بهار، ١٠٨٩م.
(٢) ينظر: شوقي ضيف، في النقد الادبي، ص: ١٣٨-١٤٥، دارا المعارف، القاهرة.

اللغوية والبيانية، وللحصول على هذا المرام يلزم لنا أن نكون عارفين بالتاريخ حتى نكون على بصيرة بالزمان الذي أنتجت فيه هذه النصوص، وبعد ذلك نتوجه إلى دراسة النصوص الشعرية وميزاتها مباشرة، وذلك لنطلع على تجربة الشاعر الوجدانية الخاصة ونميزها من غيرها لنرى مقدرته الفنية في التعبير عن الانفعالات والخواطر القلبية وما يوجد فيه من قوة وضعف.

أما البيئة والظروف التي نشأ وترعوع فيها أمير خسرو فقد تكلمنا عنه في السابق، وأما البيئة الأدبية العربية في زمان أمير خسرو فقد تحدثت عنها أيضا فيما سبق أن اللغة العربية كانت تعيش في الظروف الصعبة، وهناك ظاهرة اخرى كانت سائدة في ذلك العصر وهي ظاهرة عناية المشائخ الصوفية ولا سيما الصوفية الجشتية باللغة العربية وهي ظاهرة لا شك حقيقة بأن ندرس جوانبها، فإننا نجد مثلا لدى الشيخ فريد الدين الشافعي الجشتي أقوال مأثورة جيدة باللغة العربية تدل على براعته في أفانين الكلام(١) وإذا ألقينا نظرة عابرة على حياة أمير خسرو وجدنا أنه صوفي غارق في طريقة المشايخ الجشتية وكانت له صلات عميقة ودية مع الشيخ نظام الدين الدهلوي قدس الله سره منذ بداية عمره وكان هذا الشيخ راسخ القدم في اللغة العربية وكان قادرا على كتابة النثر العربي الفصيح كما كان مقتدرا على النظم العربي وكذلك كان خلفائه أئمة في الأدب والعلوم العربية كالفخر الزرادي والشيخ ركن الدين والشيخ شمس الدين يحى (٢).

وفي ضوء هذه التفاصيل يمكننا أن نقول إن خسرو بدأ الحصول على اللغة العربية منذ حداثة سنة وأتقنها وبلغ فيها ذروة سنامها ولم يزل طول حياته مولعابها حتى لم يرض بتفضيل اللغات الأعجمية على اللغة العربية وقد ساعدته في هذا الأمر مجالس أعلام النثر والشعر في بلاط جده من أمه عماد الملك ومجالس الصوفية التي كان يحضرها ولوكانت المصادر لا تخبرنا بوضوح عن أسماء أساتذته في الأدب العربي.

وأما خصائص وميزات شاعرنا اللغوية والأدبية والشعرية ومنهجه في الشعر والأدب فقد عقد له خسرو بنفسه فصلا خاصا في الخط الأول من الرسالة الأولى في كتابه "رسائل الإعجاز" وسماه الحرف الخامس في المعذرة عن ايراد الشعر العربي الفائح بانواع الطيب والعطور، وتتلخص من مقاله الذي يحتوي على ست صفحات عدة أشياء هامة تساعدنا في دراستي هذه وهي كالآ تي:

(١) أمير خورد: سير الأولياء، الترجمة الأردية: اعجاز الحق قدوسي، ص: ١٦٨-١٧١،ط: لاهور.
(٢) أبو محفوظ عبد الكريم المعصومي: بحوث وتنبيهات، ص: ٣٤٢،ط: دار الغرب الإسلامي.

١. كان في ذلك الزمان بالهند جماعة من أعلام الأدب العربي الذين كانوا يتمتعون بالذوق العربي الخالص وكانوا يتمكنون من اختيار أساليب الشعراء العرب المحدثين أمثال أبي نواس وأبي فراس وغيرها.

٢. إن خسرو قد اطلع على قصائد ودواوين بعض الكبار من شعراء اللغة العربية، وقد عدد لنا بهذا الخصوص أسماء كعب بن زهير المزني وأبي نواس وأبي تمام الطائي، وأبي فراس الحمداني والأبيوردي، وكان قد اتفق له أن يدرس دواوين هؤلاء الشعراء دراسة عميقة جلبت له معرفة تامة بأساليبهم.

٣. ولكنه مع هذه الاطلاع الواسع على دواوين هؤلاء الشعراء العرب لم يرض لنفسه أن يحتذي حذوهم ويقتفي آثارهم بل رسم لنفسه طريقة مبدعة ما وطئتها الأقدام واختار لنفسه من الأسلوب ما قد اخترعه بنفسه فخلط بصريح مسك العرب صندل العجم خلطا حتى لا يمكن تمييز بعضها من البعض الآخر، سواء ارتضى بهذا الأسلوب المخترع الناقدون أم رغمت أنوفهم.

٤. إنه شدد النكير على من قلد أولئك الكبار من الشعراء تقليدًا لا يرى دونه شيئًا واتبع خطواتهم اتباعا ليس فيه أي نوع من الروعة والجمال ورماهم بعدم الإبداع والإبتكار والحمق والفضول فانه يرى التحليق في جو أبي نواس وأبي فراس وأمثالهم حريا بالتحميق والتسفيه.

٥. كان منهجه في الشعر والأدب أن ينتخب لنفسه من شعرهم الألفاظ المفردة فحسب ولا يذهب فيه إلى استخدام تراكيبهم وأساليبهم فضلا عن أن يحذي بهم حذو النعل بالنعل، والسر في ذلك أنه كان شديد الأنفة والحمية والغيرة على نفسه وكفاء ته فلم ترض نفسه الأبية أن يقلدهم في الأسلوب والتركيب والصوغ بل فضلت الإبداع والابتكار على التقليد والإتباع (١).

هذا كان ملخص النكت المودوعة في الحرف الخامس من الخط الأول في الرسالة الأولى، ولكن يجب بنا أن نتمهل هنا ونعلق على هذا المسلك التي ارتضى به أمير خسرو في الشعر العربي فأقول:

إن أمير خسرو مع طول باعه ونهاية تبصره باللغات المختلفة ومزاياه العديدة قد زلت أقدامه في فهم روح اللغة فقد ظن فيما يبدو أن اللغة إنما هي إسم مجرد الكلمات والألفاظ والمفردات وأن ليست هناك أية حاجة إلى المعرفة بأساليبها واستخدام تراكيبها ونسجها على غرار أدباءها المفلقين، والأمر

(١) الاولى: الخط الأول، الحرف الخامس،ص: ٧٣-٧٨، ط: منشي نول كشور لكناؤ ١٨٧٦م.

بالعكس على ذلك، فإن اللغة عبارة عن مجموعة الألفاظ والمفردات والأساليب والتراكيب والطرق البيانية الخاصة بها، ولاحياة للغة إذا تجردت عن هذه الأشياء المذكورة بل كانت هيكلا ذهب عنه ماء الحياة ورونقها، بل الحق عن أمير خسرو أنه كان عارفا بهذه الميزات والخصائص عن اللغة التي ذكرناها آنفا وقد تكلم في ديباجة غرة الكمال عن مقدرته في الشعر العربي وقال إنه بامكانه أن يقرض الشعر العربي إلا أن قريحته فارسية ولذلك لم يعتن بقرض الشعر العربي ولو فعل ذلك لكان خطأمنه(١)، ومعنى ذلك انه قرض الشعر العربي تفننا وإرضاء للنفس وتسليةللفواد لا استجابة طلب الجمهور و تلبية لحاجاتهم النفسية ولم يبال بما يرمي به الناقدون وبما يلومه الباحثون.

وأما مواضيع شعر أمير خسرو العربي فهي موضوعات عادية في العالم العربي والهند في ذلك الزمان من المدح والوصف والغزل المؤنث والمذكر والهجاء والرثاء والسخرية والالغاز والطرائف العلمية النحوية والصوفية والفقهية وغيره، وقد أحسن وأجاد في كلها جميعا كلما أتى بشعره لمقتضى القريحة ولم يتوجه إلى التكلف في ترصيع كلامه بالصنائع البديعية ولكنه كلما أراد أن ياتي بالأبيات بالتكلف كما في أمثلة الصنائع البديعية ولا سيما صنائعه التي قد ادعى عنها أنه اخترعه بنفسه فقد أفسد فيها كلامه وذهب رونقه ونضارته مع الاعتراف بأن طول عهد الزمان على شعره العربي وقل الاهتمام بجودة طباعته أيضًا قد أفسد الأمر وجعل دراسة تحليل شعره العربي صعبًا فعندما ندرس شعره العربي في كتبه ودوانينه لا ندري أن الركاكة وجوانب الضعف فيه جاءت من أمير خسرو أو من الأخطاء المطبعية وأما معظم أبياته العربية فهي في المدح والغزل.

أما حقيقة شعره العربي فإنما هو عبارة عن أبيات مفردة أو نصف بيت جادت به طبيعته أثناء كتاباته المنثورة الفارسية ولا نجد القصائد لديه إلا ثلاث أو أربع قصائد لا يربو عدد أبياتها من عشرة، والواقع أنه في هذا الأمر يتبع جماعة من كتاب الفرس القدامى الذين كانوا مع شدة ميلهم إلى اللغة الفارسية كانوا يستخدمون خلال كتاباتهم الأمثال العربية نظما ونثرا، ومن أقدم الشواهد على هذا المنهج التاليفي ما نلا حظ في ''قابوس نامة'' لأمير عنصر المعالي الذي كان حفيد الملك الشهير فابوس بن دشمكير، وما نجد في المقامات الحميدية في اللغة الفارسية للقاضي أبي بكر حميد الدين عمر بن محمود البلخى المتوفى عام ٥٥٩هـ/ ١١٥٩م، وهذا الكتاب يشتمل على ٢٤ مقامة على طراز بديع الزمان الهمذاني وأبي محمد القاسم الحريري وتوجد فيها كثير من مفاريد الشعر

(١) ديباجة غرة الكمال،ص: ٩٥.

العربي التي فاضت بها قريحته وقد اخترع في المقامة الخامسة قسما من الكلام الذي يمكن قراءته باللغة الفارسية والعربية كلتيهما بتغيير يسير في الأعجام(١) والذي قد ادعى عنه أمير خسرو أنه من مخترعاته وسماه "دورو" (ذا الوجهين)(٢) وقد بدأ هذا المنهج في القرن الرابع الهجري وشاع فيما بين الكتاب والشعراء في الأعوام التالية فلا نجد كاتبا وشاعر فارسيا إلا سلك هذا المسلك في مؤلفاته، ولأجل هذه الأسباب نرى أمير خسرو الذي كان كاتبا فارسيا أولا أنه يأتي بالقطعات المنثورة والمنظومة بالعربية فيما بين ترسلاته الفارسية ويستخدم بكثرة الآيات القرآنية وأجزائها ومقتطفات الحديث النبوي، فلا نقرأ مؤلفا من مؤلفاته الفارسية إلا وفيه قطعات عربية منظومة أو منثورة واقتباسات من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، ولكن مع ذلك يمتاز أمير خسرو فيما بين هذه الطائفة من الكتاب الذين في معظم الأحيان يقتبسون من غيرهم ولا يأتون بما أبدعه خاطرهم بأنه لا يكاد يولي اهتمامه بدواوين غيره مع الاطلاع عليها تماما، ولا يستحسن لأن يورد بيتا أو شطرا من غيره فقد قال في كتابه "خزائن الفتوح" أنه لم يرض بأن تصدر من قلمه شيء من شعر غيره بالعربية أو بالفارسية وختم كتابه ببيته الآتي:

من يستطيع عباءة في بيته لا يستعير الخز من أصحابه(٣)

وأما شعره من الناحية العروضية فأنا قليل البضاعة في هذ الفن ولكن يرى أن معظم أبياته منسوجة على البحور نسجا صحيحا، إلّا طول عهد الزمان عليها وقلة الاهتمام بجودة الطباعة والتصحيح لدواوينه ومؤلفاته قد جفا بتراثه الشعري خصوصا فقد وجدت أخطاء قادحة في تراثه المطبوع وهذا قد جعل الأمر صعبا للباحثين، وأما شعره من الجانب اللغوي فلا مرية في أنه أعجمي الأسلوب فارسي الصوغ وليس عربي السبك، ضادي الطراز، عدناني المحتوي ولقد اعترف بهذ الأمر أمير خسرو بنفسه في ديباجة غرة الكمال(٤)وقد أشار إليه العلامة شبلي النعماني وتكلم عنه بشئ من الإسهاب العلامة عبد الكريم المعصومي(٥) فيوجد في أبياته ركاكة العجمة والتعقيد اللفظي والمعنوي وأود أن أذكر أمثلتها فيما يأتي:

---

(١) عبد الكريم معصومي: بحوث وتنبيهات، ص: ٣٥٤،ط: مجلة البعث الإسلامي، العدد: شوال، ١٣٩٧هـ.
(٢) ينظر: الرسالة الثالثة،ص: ٥٩، ط: منشي نول كشور، لكناؤ، ١٨٧٦م.
(٣) خزائن الفتوح،ص: ١٨٥،ط: علي جره.
(٤) ديباجة غرة الكمال،ص: ٩٥.
(٥) ينظر: بحوث وتنبيهات، لعبد الكريم المعصومي، ص: ٣٣٣-٣٦١.

قال في وصف سفك الدماء:

ويسفك من حناجر ساكنيها دماء سفك راح من صراحي (١)

ففي هذ الشعر أثر العجمة فانه قد استعمل كلمة صراحي، بمعنى"الدن" ووعاء الخمر وهو ليس بصحيح فإن كلمة "صراحي" تستعمل في الفارسية بمعنى الدن ، لا في العربية.

قال في وصف الصحراء وهولها:

ويخرج شوكها في كل ضلع ويدخل كا لصوارم في نيام(٢)

في هذا البيت أيضا أثر العجمة فانه قد استعمل كلمة "نيام" بمعنى غمد السيف وهو ليس بصواب فان معناها في العربية "النائمون" والكلمة جمع نائم وإنما معناه في الفارسية غمد السيف.

وقال في بيت:

بلى من أراد الله إصلاح أمره يسير في الإقبال رأيا مصوبًا(٣)

في هذ البيت أيضا شائبة العجمة فانه قد استخدم كلمة "الإقبال" بمعنى الرقي والازهار، والكلمة رغم كونها عربية لا تودي ذلك المعنى في العربية بل معناها بالعربية هو الذهاب إلى الامام ومعناها في الفارسية هو الرقي والازدهار.

وقال في موضع آخر:

ومسو جميعا في قتام بنحر كما جعل هبت عليه روائح(٤)

في هذا البيت تعقيد في اللفظ وفي المعنى أيضا فانه كما أعتقد أراد أن يقول أن الجيش كله في ظلمات بعضها فوق بعض ثم توخى أن يوضح تلك الحالة بحالة الرجال الذين لا يرون شيئا عند ما تهب الريح الشديدة بسبب الظلمات المتراكمة بإثارة الغبار من كل جانب إلا أنه لم ينجح في إفصاح هذا المعنى وتعقد التركيب أيضا.

قال في موضع آخر:

بتحمل الثقال كاد الأرض أن تحت الثرى في بطن حوت تغرمًا (٥)

---

(١) خزائن الفتوح،ص: ١٤٤.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٥.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣٣.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٤٥.
(٥) المصدر نفسه، ص: ٧١.

في هذا البيت استخدم كلمة ''تغرم'' ومعناها في القاموس "أصبح ذا غريم" ولكنه قد استعملها في معنى ذهاب الشئ غورا والكلمة في هذا المعنى بالعربية مجهولة.

هذه كانت عدة أشياء ذكرناها في أمثلة العجمة والتأثيرات الفارسية وغيرهما وأما إذا قرأنا الأبيات التي أتى بها في أمثلة الصنائع البديعية ولا سيما الصنائع التي ادعى عنها تفرده وجدنا في أكثرها ركاكةً وضعفًا يغنيان عن البيان، وقد زاد الطين بلة كثرة الأخطاء المطبعية في دواوينه ومؤلفاته فلننظر مثلًا بيته في مثال صنعة اتصال الحروف:

يا مالكي عمت بك نعمة جد حي على عمتي عفيفة عهد(١)

فهذا كلام منظوم بحسب وليس فيه أى نوع من الخلق والابتكار، وانظروا بيته في صنعة أربعة الاحرف:

وإياى هواي أي هواي آهو وإياي هوي أوه هوه ياهو(٢)

وبيته في صنعة معجزة الألسنة والشفاء:

يا حي، حي يحى حياة أحيا حيه حيا حياء حياه حباه(٣)

في البيتين المذكورين آنفا ركاكة ظاهرة وتكلف شديد ولا يمتان إلى الشعرالعربي الذي يقصد به الجمال الفني بأي صلة فليس فيهما إلا الكلمات العربية.

ولكن مما يجب الا نتباه له بهذ الخصوص أن الركاكة والضعف في الأسلوب والتكلف والإكثار من استخدام الصنائع البديعية والتلاعب بالكلمات قد بدأت تتسرب إلى الشعر العربي من القرن الرابع الهجري وتبسط جناحها في عصر المماليك والأتراك، وليس أمير خسرو أول شاعر عربي أخذ عليه بهذه المعائب فلم يسلم منها كبار شعراء العرب منذ عصر أبي الطيب المتنبي إلى زمن أمير خسرو ومن بعده، ولئن قرأنا "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي" ودمية القصر "للباخرزي" و "خريدة العماد" للكاتب الأصبهاني وما إلى ذلك من مؤلفات في النقد والبلاغة وتراجم الشعراء لوجدنا هذه العيوب سائدة ومتفشية على أكثر الشعراء العرب فقد كان ذلك بطبيعة مستوى الثقافة العربية في ذلك العصر، والآن هلم ينا نتمتع بقصيدة رائعة لا بن الفارض المتوفى في عام (٥٧٦-٦٣٢/ ١١٨٠-١٢٣٤م)

---

(١) الرسالة الثالثة لرسائل الإعجاز، ص: ٧٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٥.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٧٧.

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكريم
لها البدر كاس وهي شمس يديرها هلال وكم يبدو إذا مزحت نجم
ولولا شذاها ما اهتديت لحانها ولولا سناها ما تصورها الوهم
تقدم كل الكائنات حديثها قد يما ولا شكل هناك ولا رسم
وقالوا شربت الإثم، كلا، وإنما شربت التي في تركها عندي الإثم(١)

ولنتمتع بقصيدة أمير خسرو العربية:

رأيت مدورا فيه الآلي منظمة كأسنان الكوكب
كأن مخدرات في اجتماع وخدر بستين كمثل حاجب
وتحت خدرها غيما رقيقا بتفريق يرى مثل الكواكب
حلاوته ترغب كل طبع حموضة يشهي كل راغب
ليست هذا الرمز يدرى أنار ضميره معطي المواهب(٢)

ولنتفكر ونتدبر الآن هل نجد أى فرق بين القصيدتين؟ القصيدة الاولى في وصف الخمر والقصيدة الثانية في الغزل وكلتا القصيدتين في وضوح المعنى وصفاء العبارة وصدق العاطفة ودقة الخيال متساويتان وكلتاهما من روائع الشعر المحدث، وأما إذا تصدينا لأن ندرس عناصر الأدب فيهما درسا تطبيقيا لنتبين قيمتهما وما بينهما من صلات وتلازم وجدنا أن العاطفة في كلتيهما عاطفة الفرح والنشوة والحب والهوى، وهي التي ألح الشاعر أن يؤدي المعنى لا بألفاظ ساذجة عادية بل باستخدام الخيال الرائع والأسلوب الجميل فاستخدام الا ستعارات والتشابيه والمجازات ليؤدي تلك العاطفة مستمدًا من هذه اللغة المملوءة بالحياة أعني الخيال واستخدم لهذا الغرض الألفاظ والتراكيب الخاصة وهذا هو الأسلوب، والفكرة في القصيدة الأولى وصف الخمر وفي القصيدة الثانية وصف المرأة الحسناء، وعندما استجمعت القصيدتان العناصر الأربعة جاءت بحيث تسر القارئين وتبهج قلوب الدارسين.

خاتمة:

مغزى القول أن أمير خسرو بدون شك وريب شاعر من شعراء اللغة العربية في الهند وتوجد لديه قصائد ومآت من أبيات عربية جميلة رائعة تتسم بروعة اللفظ، جمال الأسلوب ودقة المعنى

(١) ديوان ابن الفارض، تحقيق: كرم البستاني،ص: ١٤٠-١٤٣،ط: دار صادر بيروت.
(٢) ديوان نهاية الكمال، ص: ١٠٨.

وتبرهن على نبوغه في الشعر العربي وإذا قلبنا أوراق دواوين الشعراء العرب المحدثين ودرسنا تراث أمير خسرو الشعري العربي وقمنا بمقارنة علمية بينه وبين الشعراء الآخرين في الهند وفي العالم العربي اتضح لنا أنه حقًا يساوي أدباء اللغة الغربية في كل صقع وقطر وأما إكثاره من استخدام الصنائع البديعية من التورية والاشتقاق والجناس والسجع وتوغله في التكلف وتلاعبه بالألفاظ والتراكيب والتصرفات الغريبة وماتوجد فيها من التآثيرات الفارسية والإيرانية وما غيرها من المعائب فهي بطبيعة ثقافة عصره وأوضاع زمانه وهو معذور في الأمر بإن كل من يتولد وينشأ في ظروف وثفافة وبيئة وتربية وأسرة خاصة يتأثر بهذه الأشياء فعلينا أن نتناول شخصيته بإيدي الا نتقاد بعد ملا حظة سائر الاعبتارات التي تجب ملاحظتها في دراسة شخصية ما وتحليل نصوصها ولاسيما إذا كانت الشخصية منتمية إلى بلاد لا تتصل أطرافها بالبلاد العربية وعلينا أن نقدر جهوده ونقيم أعماله في ضوء الأحوال السياسية والبيئة والمكان والتربية والأشياء الأخرى التي تتصل به ولا نكون متعامين عن هذه الاعتبارات الهامة، فلو صرفنا عنايتنا إلى هذه الاعتبارات ثم درسنا أعماله وصلنا إلى نتائج سديدة صائبة ولو أغمضنا أعيننا عن هذه الأشياء بلغنا إلى طريق متراكمة الظلام وكنا غير منصفين في تقديرنا وتقييمنا وأحكامنا وكنا باخسين من حقه وهو اثم كبير وذنب لا يغتفر في النقد الأدبي وليس من العدل أن نتوقع ممن نشأ بعيدا عن مهد العربية والعروبة ولم يتنفس في أجواء الذوق العربي الخالص أنه يقرض الشعر العربي على غرار الشعراء العرب المفلقين فهو تكليف ما لا يطاق ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

ولو هناك ممن يصر على أن أمير خسرو لا يستحق أن نذكر اسمه بين أدباء اللغة العربية لأجل ذوقه العربي المتأثر بالذوق الفارسي وتوغل شعره في الصنائع والبدائع والتكلفات وما إلى ذلك فعليه أن يمحو أسماء المتنبي وأبي تمام وأمثالهما من الشعراء العرب المحدثين ولا سيما الشعراء العرب في عصر تجزء الخلافة العباسية من كتب تاريخ الأدب العربي فان هؤلاء الشعراء كلهم كانو متأثرين بالثقافة الفارسية وكانت أذواقهم لم تكن عربية خالصة وكانت توجد في شعرهم هذه المعائب كلها وكانوا منحطين قدرا ومكانة بالنسبة إلى الشعراء العرب الجاهلين والإسلاميين والأمويين وأنا مستيقن بأنه لا يستطيع أن يجترء أحد لأن يتقدم لهذ الأمر ويخرج أسماء هؤلاء الكبار من الشعراء العرب من كتب تاريخ الأدب العربي فأنا موقن أيضا أن أمير خسرو من شعراء

اللغة العربية البارزين في الهند و أن جهوده في حقل خدمة اللغة العربية مباركة وسعيدة ومساعيه في سبيلها مشكورة محمودة.

هذا ما وصلت إليه دراستي وهذا ما قد انتهيت إليه بعد رحلتي الطويلة المتعبة في درب البحث النقاش والانتقاد والتحليل فالحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه نجوم الهداية وبدور اليقين.

****